ثأر غراب
محمد السيد
... رواية ...
الراوي للنشر و التوزيع

ثأر غراب

رواية

محمد السيد زكريا

"لا يوجد أفضل من :

انتقام أعدائك لك بأنفسهم، ومنهم"

(١)

مصر – القاهرة

يوماً حاراً كعادة فصل الصيف، وكانت الساعة تشير إلى الحادية عشر صباحاً عندما كان (رشاد زهران) ينسل عبر أبواب شركة للمقاولات، رجل مدني، في منتصف العقد الرابع من عمره، تنطوي سماته على الشدة والصرامة، ولكنه يمتاز برجاحة عقله.

اجتاز الممرات بخطى وئيدة ناتجه عن وقاره المعتاد حتى بلغ مكتب مدير الشركة، جلس في الانتظار حتى تخبر السكرتيرة المدير بقدومه، دقائق وسمحت له بالدخول.

مكتب (أحمد الصاوي)، رجل أعمال استثمر أمواله مؤخراً في بناء شركة للمقاولات، كان بانتظار (رشاد) لوجود موعد مسبق بينهم، دخل (رشاد) وتبادل معه التحية، ثم جلسا سوياً.

شرع (رشاد) في الحديث بجدية:

- كما أخبرتك سابقاً، أُريد الانتهاء من إنشاء المستشفى يكون في غضون عام أو أقل إن أمكن.

رد (أحمد) بابتسامة ودودة:

- سنبذل قصارى جهدنا.
- لقد تعاهدت مع أهل الحي أن أقوم ببناء مستشفى لعلاجهم بالمجان، وهم على انتظار، لا أريد خذلهم.

تنهد (أحمد)، ثم قال بثقة تامة:

- بارك الله فيك وفي مالك، لا تقلق، نحن الآن في زمن التطور، في ٢٠١٦م، لدينا آلات ومعدات حديثة تمكننا من إنهاء الأعمال في مدة وجيزة، وبأفضل نتيجة.
- لقد سمعت هذا عنكم، ولهذا جئت هنا.
- ونحن سنكون قدر ثقتك.

نهض (رشاد) ثم أردف:

- حسناً، سأرحل الآن، لقد استلمتم المال الذي طلبتموه وقطعة الأرض، واخبرتكم ما أفكر فيه؛ إذاً عليكم البدء في أقرب وقت ممكن.
- بالطبع سيد رشاد، صحبتك السلامة.

تبادلا ابتسامات الرحيل ثم غادر (رشاد).

* * *

بعد مرور عام

"متيقن أن اختيار الطريق المشبَّع بالعوائق خطوة ليست جيدة، ولكن قُبَيل الأحداث أشعر بأنني بطلاً خارقاً أستطيع دخول التحدي بمفردي. ولكنني لا أعلم، هل سأستطيع أن أتجنب الهفوات التي من الممكن أن تُخضعني لدائرة الخطر أم لا؟ على كل حال، أتمنى أن يكون كل شيء على ما يرام"

كان هذا هو صوت عقل (رشاد)، الذي يجلس في منزله وعلى وجهه علامات ترقُّب، علامات نتجت عن الحوار الدائر في دهاليز عقله، حوار غامض يتمناه أن يُجدي نفعاً.

يعلو صوت جرس الباب، فيذهب (رشاد) ليرى مَن أتى له، فتح الباب ووجد أن الزائر هو مهندس من شركة المقاولات التي تقوم ببناء المستشفى، شاب في مطلع الثلاثينات يدعى (علي)، رحَّب به وأدخله.

بعد الجلوس، بادر (علي) الحديث قائلاً:

- أنهينا اللمسات الأخيرة، وأفرغنا المبنى من المعدات، أعتقد أن دورنا انتهى، والآن المستشفى مجهَّزة للخطوة القادمة.

قبل أن يرد (رشاد) على (علي) جاء له اتصالاً هاتفياً، أجاب:

- مرحباً، مَن معي؟
- لا يَهُم الآن، أنت رشاد زهران؟
- أجل، ماذا تريد؟
- من المؤسف عليّ إخبارك أنَّ ...

تباطء المتحدث في قوله، فقاطعة (رشاد) قلقاً:

- أنَّ ما؟ أكمل.
- مبنى المستشفى التي تقوم ببنائها يحترق، لقد أخبرنا المطافئ وهم قادمون الآن، ونريدك حتى تتواصل مع الشرطة.

إربد وجه (رشاد)، وكثرت نظرات الحسرة بعينيه. ثوانٍ حتى تفوَّه حزيناً:

- حمداً لله على كل شيء، سآتي الآن.

أنهى (رشاد) المكالمة، ثم نهض ووجه حديثه إلى (علي):

- المستشفى حُرقت، ليتك ما أخبرتني أنها أصبحت مجهَّزة لأي شيء، انتهت جميع مراحلها الآن يا شُؤم.

لم يعقّب (علي) متفهماً حساسية الموقف، مرت دقائق ثم غادر الإثنين متجهين مباشرةً إلى موقع المستشفى.

* * *

قبل أن تغرب الشمس بعدة ساعات، كانت النيران طالت كل شيء، نيران قد قُسّمت إلى تيارات تتمايل وتتهادي على كل ركن، الحريق أصبح عبارة عن بقعة نار ضخمة، بقعة واحدة تحمل المبنى، ونتجت عنها سحابة من المخلفات تحجب الرؤية على كل من يشاهد الحريق.

نظرات حسرة، وأخرى خبث، كل من هذه وتلك تتلألأ في أعين الحاضرين أمام الحريق، هناك من هو حزين، وآخر سعيد كعادة الأشخاص معتادي الشماتة.

أتت سيارة المطافئ، قامت بعملها بعد عدة دقائق، أخمدت النيران أمام أعين (رشاد) الذي ينظر إلى الطوب المفحَّم بتمعن وبؤس.

ثم جاءت الشرطة بعد دقائق جمَّه، أبعد العساكر الحضور عن موقع الحريق حتى لا تتفاقم الجلبة بينهم، نزل من سيارة الشرطة ضابط ليس صغير السن ولا كبيره، قمحيّ اللون، ويسمّى (يوسف ناصف)، ألثم ذلك السمين على (رشاد)، ربت على كتفه ثم قال بنبرة عطف:

- لا تيأس يا رشاد، هناك فرصة أخرى لتحسن سيرتك بين الناس.

نظر له (رشاد) بسخط ولم يرد، ويبدو أن يوجد بينهم معرفة سابقة.

أكمل (يوسف):

- لن أبالي، هيا معي لكي نتناقش قليلاً، والإدلاء بما يكمن فيك من ظنون.

أومأ (رشاد) بضجر موافقاً، فلم يأبه (يوسف) لرد فعله، وهمَّ الإثنين للذهاب. ثوانٍ ثم أوقفهم أحد العساكر منادياً (يوسف):

- يا حضرة الرائد، يبدو أن هناك شيئاً مريباً على إحدى الحوائط الخارجية للمبنى، ائتِ سيادتك لكي تشاهد بنفسك.

ذهب (يوسف) ليرى ما هو الشيء المريب الذي يتحدث عنه العسكري، ثم تبعه (رشاد)، نظر الجميع إلى الحائط الخارجي للمبنى المحترق، بدت علامات الاستفهام في أعينهم بعد أن لاح لهم على الحائط جملة كتبت بخطٍ عريض: (الثقة في العدو).

* * *

(٢)

لقد كانت النصف ساعة هي المدة الكافية لمجيء (يوسف) و(رشاد) إلى قسم الشرطة، قابلهم وقع أصوات كثيرة ومتداخلة حينما دلفوا إلى الداخل، كان قد اعتاد (يوسف) على مثل هذه الضوضاء، ولكن (رشاد) أزعج منها. قَصَد الإثنين المكتب، جلس (يوسف) على مقعده بعد أن ألقى معطفه على الكنبة المجاورة للباب، ثم أخرج مسدسه ووضعه أمامه خلف اللوحة الصغيرة التي كُتب عليها (الرائد/ يوسف ناصف)، وكان (رشاد) قد جلس على المقعد الموازي له بهدوء تام. لحظات ودخل العسكري الماثل على باب المكتب من تلقاء نفسه ولم يتحدث، قال له (يوسف):

- عصير ليمون.

أومأ العسكري برأسه وخرج مباشرةً، حينها أردف (يوسف) وهو ينظر إلى (رشاد):

- أنا أُقدِّر حالتك الآن، ولكن أود أن تكون صادقاً معي حتى نستطيع تحديد خيوط هذه القضية، لنصل إلى شيء، أمر الجملة التي رأيناها ليس سهل، وهي دليل كافي على أن الحريق بفعل فاعل.

من عادة (يوسف) أنه يهوى التسلسل والتمهيد للحديث. صمت برهةً، ثم أضاف:

- المثير هنا أيضاً هو معرفة زمن كتابة هذه الرسالة، من المؤكد أنها كُتبت بعد إطفاء الحريق مباشرةً، ولهذا كُتبت في الحائط الخلفي للمبنى، وهذا حتى لا يرى أحد الشخص الذي تسلل وفعل هذا. إن الجميع كان مهتم برؤية مبنى المستشفى بعد الحريق، ولم يأبه أحد لمراقبة المكان.

رد (رشاد) بأسى:

- صدقت، إنه حديث معقول، ولكنني لا أجد ما أقوله.

بدت علامات غير رضى على وجه (يوسف)، صمت برهة ثم أكمل:

- كلا، يوجد لديك الكثير.
- كيف؟ أنا لا أفهم حتى مغزى الجملة التي رأيناها.
- أخبرني من هم أعداءك، لعل وعسى نعرف من المقصود في هذه الجملة.
- ليس لدي أعداء، ولا أتهم شخص معين.

ابتسم (يوسف) ابتسامة خبيثة، تبعها قوله:

- لا تنس أنك خرجت من السجن منذ عام وبضعة شهور.

نظر (رشاد) إلى (يوسف) باكفهرار. وتمتم:

- لم تقم لي عداءات مع أحد مسبقاً.
- بلا، من الممكن أن تكون تشاجرت مع أحداً من المجرمين ذات مرة، وقرر أن يأخذ بثأره الآن، أنت لا تعلم ما يحدث إذا عاداهم شخص، لا يخرج من دائرة تفكيرهم إلا إذا أصيب بضرر، سواء كان جسدي أو مادي، هم لا يأبهون بالتكاليف.

طُرق الباب، سمح (يوسف) لمن بالخارج بالدخول، كان أحد العاملين بقسم المشروبات، دلف إلى الداخل ووضع كوب العصير أمام (رشاد)، ثم بَعُد خطوتين إلى الخلف ووقف ثابتاً، أشار له (يوسف) بظهر يده فخرج دون تعقيب.

قبلها كانت أعين (يوسف) فاحصة لوجه (رشاد) الواجم، واستمرت هكذا، إلى أن قرر أن يلوذ لأساليب الضباط بالالتفاف حول سياق الحديث وكثرة الأسئلة لكي يصلوا لمبتغاهم، ولكن (رشاد) سأم من هذا ورد عليه مؤخراً بضيق:

- لمْ يحدث شيء مما تنتظر سماعه، وأنت تعلم جيداً لمَ سُجنت، وكيف.

ضحك (يوسف) بتهكُّم وقال ساخراً:

- أعلم، أتفتخر بهذا؟

لم يكترث (رشاد) لقوله، والتزم الصمت، فعاد (يوسف) لبداية الحوار قائلاً:

- دعنا من هذا الحديث الذي بدون فائدة، أدري أنك أصبحت خيِّر وكنت تريد مساعدة الناس، ولكن أنت الآن في خطر، (الثقة في العدو)، أي ثقة وأي عدو هنا؟ أنت لا تعلم، إذاً عليك أن تحذر من جميع الأشخاص، وانظر إلى أي حدث من منظور مختلف عما اعتدت.
- حسناً.
- رشاد، أنا أريد مساعدتك، إن لم تعطني المعلومات الكافية فلن أستطيع حمايتك حينما تتحول القضية إلى النيابة، لن يكون بيدي شيئاً افعله تجاهك.
- ولمَ كل هذا الآن؟

اندهش (يوسف) من السؤال ورد متعجَباً:

- ماذا تقصد؟

نظر له (رشاد) بعد أن عبئت نفسه، ولم يعد بمقدوره تحمل أي نقاش، وقال:

- أنا أخبرتك كل ما أعرفه، ولن يكون هناك فرق بينك وبين النيابة، المهم الآن هو أن نصل إلى من فعل هذا، وأنا قادر على حماية ذاتي.
- حسناً رشاد، أنا أردت المساعدة فقط، سأنهي كتابة المحضر الآن، وغدا يذهب إلى النيابة، وهم سيؤدون عملهم بطريقتهم الخاصة.

* * *

صباح ذات اليوم، ولكن على بُعد كيلو مترات

هناك الرقيّ، هناك علية المجتمع تتواجد، وهناك تُنفق أموال ليس لها أول ولا آخر. هناك تتركز أحلام البسطاء، وأيضاً مرتع الأغنياء. هناك في العالم الذهبي، عالم الحُليّ.

في متجر (العادلي للمجوهرات)، متجر ضخم ومشهور، لم تمر ساعة على بدء العمل فيه، وكان قد مُلئ بالزبائن، لا يشعر أحد هناك بازدحام قط، وهذا لحُسن تخطيط المتجر، فقد قُسّم إلى أجزاء هرمية الشكل متفرقة ومتباعدة، وكل جزء منهم يكون مسئول عنه شخص

معين، وجميع هؤلاء المسؤولين تحت يد فتاة وضع مكتبها في المنتصف لتشرف عليهم. فتاة جميلة، حَسنَة المظهر، عيناها سوداويتان مليئتان بالسحر، وقوامها ممشوق، فتاة يُختزل وصفها في لفظ "المليحة".

كانت هذه الفتاة جديدة في العمل، ولكنها كانت حازمة وكلمتها بمثابة سيف على العاملين، وهذا نظراً لجمالها فقط. كان أمامها على المكتب ظرفاً أبيض، حملته ونهضت، سارت في الممرات حتى وصلت إلى سُلم نهايته في الطابق الثاني بالمتجر، طابق مكوَّن من غرفة واحدة، غرفة تستطيع أن ترى منها كل ما يحدث في الأسفل، وهي مكتب المدير.

صعدت الفتاة وذهبت إلى هذا المكتب، طرقت الباب ثم دخلت، كان يجلس بالداخل رجل وقور، في منتصف العقد الرابع من عمره، حليق اللحية ولديه شارب كثيف، في فمه سيجار مشتعل، وأمامه على المكتب لوحة مزركشة كُتب عليها اسمه، (عمرو العادلي).

أخرج (عمرو) السيجار من فمه، وقال فور رؤيته للفتاة:

- كيف حالك يا حبيبة؟
- بخير والحمد لله.

- دام الله لكِ الخير، أنتِ تُبلين عملاً رائعاً حتى الآن، وفي فترة قصيرة، وأنا أحبذ هذا، وإن أكملتِ هكذا ستُكافئين دوماً.
- شكراً لك سيد عمرو.

وضعت (حبيبة) الظرف الذي كانت تحمله على المكتب وأضافت:

- جاءتك هذه الرسالة منذ قليل.

حمل (عمرو) الظرف، قطّعه وأخرج الرسالة التي بداخله، ثم تحدَّث:

- ممن هذه الرسالة؟
- رجل لا أعلم اسمه، لم يخبرني إيَّاه.

نظر لها (عمرو) بسخط، ثم قال بضجر:

- كيف هذا؟ كيف لا تعلمي اسمه؟

توترت (حبيبة) وأردفت متلعثمة:

- سألته ولم يُجبني، فظننت أنه ترك لحضرتك اسمه بداخل الرسالة.
- لم أقم بفتحها بعد لأعرف إن ترك اسمه أم لا، ولكن كان يجب عليكِ أن تسأليه من هو.
- لقد أعطاني الرسالة ورحل مباشرةً.

صمت (عمرو) قليلاً حتى يهدأ روعه، ثوانٍ وأكمل:

- حسناً، لأنكِ تعملين حتى الآن جيداً سأتغاضى عما حدث اليوم، ولا أريد تكراره، هيا تفضلي.
- بالطبع لن يتكرر سيد عمرو.

قالتها (حبيبة) ثم غادرت مباشرةً، حينئذ فتح (عمرو) الرسالة، وبدأ يقرأ نَصها:

" أتظن أن هدوء الغابة يعني مقتل ملكها؟

الثقة في العدو "

تعجَّب (عمرو) مما قرأه، وتشتت تفكيره قليلاً، ضغط على زر بالمكتب يعطي إشارة إلى (حبيبة) لكي تأتي إليه، وجاءت بعد لحظات، حينما دلفت إلى داخل المكتب قال على الفور:

- تستطيعين وصف الرجل الذي جاء بالرسالة؟
- للأسف، لا أتذكره جيداً.
- نص الرسالة غريبٌ جداً، لا أفهم معناه ولا أستطيع تحديد أبعاده، لم يذكر هذا الرجل اسمه، وترك توقيع عجيب أثار دهشتي.
- أعتذر لك يا أستاذ عمرو، إنه خطأي.

نظر لها (عمرو) قليلاً بغير رضى، ثم أردف:

- لا بأس.

قالها (عمرو) وظل ينظر إلى الرسالة بتمعُّن، مر ما يقارب دقيقتين ثم ألقى الرسالة على المكتب، وعلل:

- من الممكن أن يكون رجلٌ تافه لم يجد ما يفعله فقرر مجاراتي، لن أبالي، ليست رسالة مثل هذه تدعني أنشغل للتفكير فيها.
- أجل، هذا من الممكن.
- حسناً، دعينا من هذه السخافات، كيف يسير العمل؟
- كل شيء على ما يرام، وجميع الزبائن يأتون ويرحلون والابتسامات تتراقص على وجوههم.

هدأ (عمرو) وكأن شيئاً لم يكن، أكملت (حبيبة) حديثها:

- أسمعت عما حدث منذ قليل بالقرب من هنا؟
- لا، ماذا حدث؟ أهو شيءٌ مهم؟
- مستشفى كانت تُنشئ لعلاج أهل الحيّ بالمجان، وبعد أن بُنيت نَشُب بها حريق اليوم، مسكيناً مالكها.
- مستشفى، ومسكين! ظننتك ستخبريني أمراً هاماً، أنا لا أكترث بمثل هذه الأخبار، اذهبي لكي تكملي عملك الآن.

(٣)

صباح اليوم التالي

استيقظ (عمرو) في موعده المعتاد بالتاسعة صباحاً، حيث هناك نظام اعتاد عليه منذ سنوات، وهو أن يتناول الفطور مع عائلته، ثم يرتدي ملابسه الأنيقة ويشد رحاله إلى المتجر. وهناك يجلس فقط في مكتبه، لا يفعل شيء سوى الاطمئنان على أمواله، حتى مباشرة العمل أحضر فتاة لكي تقوم بها، إنه روتين يومي يمتعه، لا يكل ولا يمل منه.

عدا اليوم، انقلب حال كل شيء، فبعد أن نزل (عمرو) من المنزل وتحرك في مساره المعتاد استوقفه ازدحام رآه من بعيد، كان أمام المتجر، خرج (عمرو) من سيارته وقَصَد هذا الازدحام لكي يرى ما الذي يحدث، تجاوز الحاضرين حتى وصل إلى نهايتهم، واستطاع الرؤية جيداً، فوجد أن كل هذه الجلبة بسبب باب متجره، فقد رآه محترق وملقي أرضاً، والمدخل محترق تماماً هو الآخر، وجميع العاملين يبعدون الناس حتى لا يقتحموا المتجر، وكانت (حبيبة) تقف بمنتصفهم، تحمل هاتفها وتحاول الاتصال على أحد.

ذهب (عمرو) إليها، وكانت الصدمة قد تملكته والحسرة انتابته، صاح فيها قائلاً بصوتٍ يبدو محشرج:

- ما الذي حدث؟

لم تستطع (حبيبة) أن ترد حينها، ونظرت إليه بيأس مصحوبٌ بحزن، فصاح (عمرو) مرةً أخرى:

- ما هذا؟ وكيف حدث؟

أجابت (حبيبة) بصعوبة:

- عندما جئت مبكراً إلى هنا كنت أنظر من بعيد لأراقب المارة، ليس لشيءٍ ما، ولكن إنه فضولٌ معتاد، حينها لم أرى أشخاصاً كثر، فكنت أنظر على الطريق لا المتجر، ثم فجأة وجدت شخصين يهرولان سريعاً إلى المتجر من الشارع الجانبي الذي أمامه، تعجَّبت لأمرهم واسرعت في الذهاب إليهم، وعندما اقتربت منهم وجدتهم يطفئون حريق قد اندلع في الباب والمدخل، صُدمت وتحدثت مع العاملين سريعاً لكي يأتون ويمنعون الضجة التي ستقام حيال هذا الحدث، وبعدها حاولت الاتصال بحضرتك كثيراً

ولكن باتت محاولاتي بدون فائدة، فلم أتخذ أي قرار منذ البداية وأنتظر مجيئك.

أنصت (عمرو) إلى حديث (حبيبة)، ثم بعده تركها ودلف داخل المتجر دون تعقيب، دخل وحده لكي يرى ما الذي سُرق، ولكن كان تفكيره خاطئ، فبعد أن رأى المكان من الداخل ودقق فيه جيداً وبحث في جميع أركانه وجد كل شيء على ما يرام، اندهش أكثر وازدادت صدمته، ولم يستطع تفسير ما حدث، فوقف في منتصف المكان حتى تهدأ أعصابه ويفكر فيما جرى.

ولكن.. بعدما نظر إلى الحائط الذي أمامه بنهاية المتجر وجد ما يريب تفكيره أكثر، تعجَّب ونادى على (حبيبة)، ثم سار في الممر الموجود بمنتصف المتجر مسرعاً حتى يصل إلى النهاية.

سارت (حبيبة) وراء (عمرو)، وصلت إليه فوجدته كالِح، وساد الوجوم وجهه، نظرت معه إلى الحائط أمامهما لكي ترى سبب عبوسه هذا، انتابتها الصدمة هي الأخرى، فقد بدا لهم على الحائط رسالة كُتبت بخطٍ واضح:

" إنها فقط البداية.

الثقة في العدو "

لم يدخل أحد ورأى ما كُتب سوى (عمرو) و(حبيبة)، ولم يعلم أحد برسالة أمس سواهما أيضاً، الرسالة التي تذكرها (عمرو) فور قراءته للجملة المصحوبة بالرسالتين اللاتي أتين إليه.

قلق (عمرو)، وحينها تأكد أنه أصبح بخطر، وأن هذه الرسائل وراءها سرٌ ما، أي بداية هذه؟ لم يعرف، ولم يقدر على تحليل ما حدث له في اليومين الفائتين.

قرر أن يخرج ويُطمئن الناس ويخبرهم أن كل شيء على ما يرام، ولم يسرق شيء، وأن ما حدث من الممكن أن يكون نتيجة ماس كهربي. ثم بعدها قرر إخبار الشرطة لكي يحموه، فعندما تكلَّم قال للضابط أنه يريده في موضوعٍ هام، ولم يذكره، وأخبره أيضاً أنه لا يريد أن يكون لقاء بشكل رسمي، فوافق.

***

بعد مرور ساعة

انتهى الازدحام من أمام المتجر، وجاء بعض العاملين لكي يصلحوا ما أُتلف، وأغلق المتجر وأُجل العمل إلى الغد.

وعلى بُعد أميال كان (عمرو) جالساً في مكتب الرائد (يوسف) في قسم الشرطة، وكان الأخير يتحدث قائلاً:

- اهدأ قليلاً، واسرد لي كل ما حدث منذ البداية.

أومأ (عمرو) برأسه موافقاً، ثم أردف:

- جاءت لي رسالة أمس، كان محتواها غريب فلم آبه لها، ثم حدث حريق اليوم في مدخل المتجر وانقلع بابه وحُرق هو الآخر، دخلت المتجر فلم أجد شيءٌ سرق، ووجدت رسالة مشابهة لنظيرتها أمس، وهذا معناه أن من فعل هذا لا يريد مال ولا ذهب، إنه يريد شيئاً أثمن من هذا، ومن الممكن أن يكون هذا الشيء هو حياتي.
- لا تقلق، أمن الممكن أن تخبرني نص الرسالتين؟

أجابه (عمرو):

- الأولى (أتظن أن هدوء الغابة يعني مقتل ملكها) وتبعها جملة (الثقة في العدو) والثاني...

اندهش (يوسف)، وقاطعة مستفهماً بقوله:

- ماذا تقول؟ الثقة في العدو؟
- أجل، وانتظر حتى أكمل حديثي.

ابتسم (يوسف) ابتسامة غريبة قليلاً. وأكمل (عمرو):

- والرسالة الثانية تقول (إنها فقط البداية)، وأظن أنه يقصد ما حدث للمتجر، ثم صحبتها نفس العبارة (الثقة في العدو) التي اندهشت فور سماعها. أتعرف شيء عنها؟

نظر له (يوسف) بشرود قليلاً ولم يتفوَّه، فأضاف (عمرو):

- أجبني يا حضرة الرائد، أتعرف شيء؟

أفاق (يوسف)، وأجاب:

- لا، لا أعرف شيء.
- حسناً، ما عليّ فعله الآن؟

اعتدل (يوسف) في مكانه، وأردف:

- قم بإنشاء محضر بالواقعة، وسيذهب للنيابة وهي ستحقق فيه، وأعطهم الرسالة الأولى واجعلهم يلقون نظرة على الرسالة الثانية بمتجرك، وحينها سيضعون عندك حراسة، فأنت لست رجل قليل، أنت مالك أكبر متجر مجوهرات بالقاهرة، ومن أغنى الناس فيها.
- حسناً، افعل ما تشاء، وأنا موافق ما دام سأكون بخير أنا وعائلتي.

كتب (يوسف) محضر بالواقعة، وبعدها غادر (عمرو)، حينها طلب (يوسف) من العسكري الماثل على باب مكتبه ألا يُدخل له أحد، عدا الأشخاص الأكبر منه في الرتبة بالطبع.

ثم جلس يفكر في الجملة التي تربط حريق (رشاد) بما حدث إلى (عمرو)، ودار في رأسه احتمالات جمَّه، ونطق:

- أمن الممكن أن يربطهما واقعة مثلما حدث قديما؟

* * *

(٤)

في ذات اليوم

أنهى (يوسف) عمله مبكراً، وخرج من مكتبه قاصداً سيارته، سار بها متجهاً إلى منزله، وهو في منتصف الطريق راودته فكرة، سيحدِّث (رشاد) ويخبره بما حدث اليوم، لعل يعرف منه شيء، أدار سيارته وعاد إلى قسم الشرطة مرةً أخرى، لكي يعلم رقم هاتف (رشاد) من هناك.

مرت دقائق كثيرة، وقد ذهب (يوسف) وأحضر رقم الهاتف، جلس في مكتبه واتصل على (رشاد)، أجاب الأخير قائلاً:

- مرحباً، من معي؟
- مرحباً رشاد، معك الرائد يوسف ناصف.

صمت (رشاد) ولم يرد، فأكمل (يوسف):

- لا تقلق، لم يحدث شيء.
- إذاً ما هو سر مهاتفتك لي؟
- أردت إخبارك بأمرٍ هام، أمر يخص قضيتك.

قال (رشاد) متعجباً:

- قضيتي، كيف وأنت ليس لك علاقة بها؟ أأنت تبحث خلفي واكتشفت شيء؟

أجاب (يوسف) نافياً:

- بالطبع لا، ولمَ أبحث خلفك؟ لقد جاءت لي قضية اليوم مشابهة لأمر قضيتك.
- كيف؟
- أتتذكر عمرو العادلي؟
- هذا النذل، أجل.
- أنت من تقول نذل، من المفرض أن يقول هو ذلك، لا تنس ما فعلته سابقاً.

أزعج (رشاد)، وصاح:

- كف عن هذا الابتزاز.

ضحك (يوسف) ساخراً منه، ثم بعدها قال بجدية:

- حسناً، لا يَهُم الآن، فلقد جاء لعمرو أمس رسالة مصحوباً بها العبارة ذاتها التي وجدناها على مبنى المستشفى المحترق، ثم اليوم حُرق متجره من الخارج واقتُحم، ووجد بالداخل رسالة أخرى مصحوباً بها العبارة أيضاً.
- أهذا اتهام؟

- بالطبع لا، كيف أتهمك وأنت متضرر أكثر منه.
- إذاً، ماذا تريد؟

صمت (يوسف) قليلاً ليفكر، ثم أردف:

- بالطبع هناك صلة تربط قضيتك بقضيته، هناك عامل مشترك، وهو الفاعل، ويبدو أن عدوكم أيضاً واحد.
- أجل، حديثك يدل على هذا.
- إذاً، أحدث شيء بينكم بعد خروجك من السجن؟
- لم أفكر في هذا الشخص منذ إحدى عشر عام.

تأكد (يوسف) من نبرة حديثه أنه لا يكذب، وقال له:

- حسناً رشاد، أنا كنت أُخبرك ما أفكر فيه فقط، ولا تقلق، النيابة تحقق الآن وستعرف من الذي فعل بكم هذا، وقريباً جداً.
- حسناً، وداعاً.

قالها (رشاد) وأنهى المكالمة، دون أن ينتظر رد (يوسف)، تعجَّب الأخير من هذا، ثم نهض من مكانه لكي يغادر قسم الشرطة، ويعود إلى منزله مرةً أخرى.

بعد مرور أقل من ساعة

وصل (يوسف) إلى العقار الذي يمكث فيه، صعد السلم وتجاوز طابق والثاني، ثم وصل إلى باب منزله، وهو يُخرج المفتاح لكي يضعه في الباب ويفتحه، أوقفه شيءٍ ما، أوقفه جملة صغيرة نُحتت بدقة أسفل مكان فتح الباب، بُهِت منها، واتسعت حدقتا عينه بشدة، وظلا ينظرا مدهوشان بتمعُّن إلى الجملة التي تنص بـ: (لقد بدأت اللعبة).

حين قراءة (يوسف) لهذه الجملة دار في رأسه عدة احتمالات، وبدأ يستوعب كل ما يحدث، وضع يده على رأسه ثم استطرد:

- أيعقل؟ لقد أصبحت جزءاً من اللعبة التي وُضعا فيها رشاد وعمرو.

صمت قليلاً ثم أكمل:

- نفس طريقة بعث الرسائل، هذا أمرٌ مثير.

فكر (يوسف) كثيراً، وبات يسأل ذاته أسئلة ويجاوب عليها، ظل هكذا حتى استقر على حل، وهو أن يحدِّث (رشاد) و(عمرو) لكي يقابلهم غداً في قسم الشرطة ويخبرهم ما جرى له، وأنه يربط ما حدث لهم هم الثلاثة بنفس الخيط.

أخرج (يوسف) هاتفه واتصل على (رشاد) مجدداً، وقال له:

- رشاد، بدون مقدمات وشرح، أريدك أن تأتي لي غداً.
- سأكون مشغولاً غداً؟
- ائتِ لي غداً يا رشاد، سأنتظرك، إلى اللقاء.

قالها (يوسف)، وقبل أن ينهي الاتصال عاد وأكمل:

- أريدك أن تأتي وتكون نفسك هادئة، سيحدث تغيير كبير في مجرى الأحداث حينئذ.
- حسناً، ودعاً.

قالها (رشاد) وأغلق المكالمة مباشرةً، فلم يتعجب (يوسف) مجدداً.

أما رقم هاتف (عمرو) الشخصي فكان مع (يوسف) منذ البداية، لأنه يتعامل معه في بيع وشراء الذهب، فتكلَّم معه:

- مرحباً يا عمرو، أريدك أن تأتي لي غداً.
- لمَ؟
- أمراً هام في قضيتك.
- حسناً.

أنهى معه (يوسف) المكالمة، ولم يكن يريد أن يخبر أحدهم بمجيء الآخر حتى لا ينفر، وهذا لأنهم يمقتون بعضهم، كان يريد ضمان مجيء الاثنين.

همَّ (يوسف) في الدخول لمنزله لكي يستريح، ولكنه وقف ونظر إلى الجملة التي على الباب مرةً أخرى. وقال:

- يجب أن يأتي أحد ويصلح الباب أولاً، شكله ليس لطيف هكذا.

* * *

(٥)

اليوم التالي

دلف (عمرو) داخل قسم الشرطة، وسار في الممرات حتى وصل إلى مكتب الرائد (يوسف)، دخل العسكري الماثل على الباب لكي يخبر الأخير بمجيء الأول، ثم خرج وسمح له بالدخول، حينها كانت المفاجأة، فلقد رأى (عمرو) حينها (رشاد) جالساً أمام (يوسف) على المكتب، أردف متعصباً:

- لمَ تجلس هذه الحثالة هنا؟

ضجر (رشاد) ونظر له بسخط، حينها نهض (يوسف) من مكانه وتحرك إلى الأمام قليلاً، وقف بمنتصفهم وقال:

- اهدأوا قليلاً.

أكمل (عمرو):

- كيف أهدأ في حين وجود هذا الشخص؟

أجابه (رشاد):

- لأنك مرغم، مثلي.

لم يرد (عمرو)، فقال (يوسف):

- اهدأوا واجلسوا، فلتدعوا الخلافات القديمة جانباً الآن، مهما كان ثقلها وقيمتها.

قال (عمرو) مندهشاً:

- لماذا؟

أجاب (يوسف) بهدوء بعد أن جلس (عمرو) :

- ما مر لم يعّد له فائدة الآن، القادم أخطر، أنا أخبرت رشاد كل شيء، وأقنعته أن يهدأ حين وجودك، فلتساعدنا أيضاً أنت الآخر.
- ما الذي حدث؟

فضَّل (رشاد) أن يصمت حين حديثهما، وأكمل الاستماع لإجابة (يوسف):

- -أنتما الاثنان في نفس الدائرة، يحيطكما نفس الخطر، أهو بسبب ما حدث قديماً؟ فلا أعتقد هذا، أنتما الاثنان تضررتما، فلا يمكن أن يفكر أحد أنَّ أحدكما من فعل هذا بالآخر.
- حسناً، وما الذي أوضح لك هذا؟

اعتدل (يوسف) في مكانه، وأجاب:

- -ما حدث لك، حدث مثله لرشاد، ولكن بطريقة أبشع منه.

تعجَّب (عمرو) وقال:

- كيف؟ ولمَ؟
- في ذات اليوم الذي جاءت لك فيه الرسالة الأولى، حُرقت مستشفى رشاد، ووجدنا مكتوباً عليها من الخارج عبارة (الثقة في العدو) التي صاحبت رسالتيك.
- لهذا أنت اندهشت فور سماعك لحديثي؟
- أجل، ولم أكن أريد اخبارك حينها لكي أفكر جيداً فيما سأفعله، ولكن حدث شيءٌ آخر أمس، وغيَّر معتقدي.
- ماذا حدث؟

نظر (يوسف) إلى (رشاد) إشارةً منه بأن يدخل معهم في الحديث، وقال:

- ما لم أخبره لأحدٍ منكم، سيدهشكم أكثر مني.

لم يفهم (رشاد) معنى حديث (يوسف) ورد مستفهماً:

- ماذا تقصد؟

أجابه (يوسف):

- وأنا أيضاً مثلكم، بخطر، ومعكم بنفس الدائرة، ليس بالضبط ولكن هذا هو التفسير الوحيد، فقبل أن أحدثكم أمس وأطلب منكم أن تأتوا إليّ اليوم، وجدت رسالة صغيرة نُحتت على باب منزلي تنص بعبارة غريبة، وهي (لقد بدأت اللعبة).

نظر (رشاد) و(عمرو) إلى ثلاثتهم متعجّبين، وكأن كلٍ منهم يحاول تفسير ما يحدث لهم جميعاً.

قطع (عمرو) صمتهم وشرودهم بقوله:

- أهذا يعني أننا وضعنا بلعبة نحن الثلاثة أهداف بها؟ ووراءها رسائل خفية ليس لها مدلول واضح.

قال (يوسف):

- بالضبط، ولهذا قررت جمعكم لكي تستقر الرياح بينكم، لكي تنسون كل ما حدث وتساعدوني حتى نستطيع فهم هذا المأزق، والفرار منه، فالحل سيكون بين أيديكم.

تدخَّل (رشاد) في الحديث قائلاً بجدية، بعد صمتٍ دام طويلاً:

- لا أريد أن أضيع أعوام أخرى من عمري. فأنا موافق على ما طرحه الرائد يوسف، ووجدت أيضاً بداية الحل.

نظر له (عمرو) وقال:

- ما هو؟

وأضاف (يوسف):

- أخبرنا إيَّاه.

مرت ثوانٍ و(رشاد) ينظر إلى أعينهم المرتقبة، وثوانٍ أخرى حتى أكمل حديثه، وإجابته المنتظرة:

- يجب علينا أن نسحب قضايانا من النيابة، ونتنازل عنها.

صاح (عمرو) فيه:

- أجننت، ما الذي تقوله؟ تريد أن نظل بخطر.

وقال (يوسف):

- ما الذي تفكر فيه؟

أجابه (رشاد):

- نتنازل عن قضايانا، ولا تبحث النيابة خلف هذه الرسائل وتفتش عنها، نحن من نبحث ورائها بأريحية، وأيضاً سنكون بأمان.

رد عليه (عمرو):

- وكيف سنكون بأمان؟

أجاب (رشاد) وهو ينظر إلى (يوسف):

- أيعقل أن نكون بخطر والرائد يوسف معنا؟

نظر (يوسف) بتمعن قليلاً إلى (رشاد)، ثم أردف:

- حسناً، جيدة الفكرة، وهذا حتى لا تعوقنا النيابة في شيء، لن يكون تحقيق بشكل رسمي، وأنا قادر على حمايتكم، لا تقلقوا.

قالها (يوسف) ثم نظر إلى (عمرو)، وأكمل:

- ماذا قلت؟ أأنت معنا؟

صمت (عمرو) قليلاً لكي يفكر، لم يُطيل عليهم، فقد انتهى تفكيره على أن استسلم لرأيهم، وقال:

- حسناً، أنا معكم.

ابتسم (يوسف) وأكمل الحديث:

- حسناً، عليكم أن تذهبوا الآن وتتنازلوا عن قضاياكم، وحينما تنتهوا أرسلوا لي رسائل نصية على الهاتف لكي تخبرونني.

قال (رشاد) و(عمرو) في نفس الوقت، وكأن أحدهم فقط من تحدث:

- حسناً.

بعدها بدقائق غادرا، وجلس (يوسف) في مكانه يفكر فيما سيحدث، ويخطط له، ويتمتم:

- تنحَي أيتها الأحداث القديمة جانباً، ودعينا نفكر فيما هو قادم.

قالها ثم أسند ظهره على كرسيه، ورفع رأسه لأعلى، ظل ينظر إلى السقف بتمعُّن، يفكر ويدرس الأحداث. لم تمر دقائق كثير وجاءت له رسالتين من (رشاد) و(عمرو) على الهاتف، يخبرونه بأن ما اتفقوا عليه قد تم.

* * *

(٦)

صباح يوم جديد، لا يعلم أحد ما الذي ينتظره فيه.

استيقظ (رشاد) من نومه، غسل وجهه كعادة أي شخص، ثم بدأ في تناول فطوره، لحظات وانتهى منه، ثم ارتدى ملابسه، وغادر المنزل قاصداً متجر العادلي للمجوهرات.

مر ما يقارب ساعة ووصل هناك، قابلته فتاة عندما دلف إلى الداخل، وهي (حبيبة)، قالت له:

- مرحباً، لقد تشرفنا بمجيئ حضرتك، يوجد هنا أنواع كثيرة وأشكال عديدة من الذهب ستنال اعجابك.

ابتسم (رشاد) وتحدَّث:

- لا، أنا لم آتي لكي أشتري شيء، أنا أود مقابلة مالك هذا المتجر، عمرو العادلي.
- حسناً، على الرحب والسعة، من الممكن أن تنتظر هنا حتى أخبره.

ذهبت (حبيبة) إلى مكتب (عمرو)، ثم دقائق وجاءت، واصطحبت (رشاد) إليه، دخل وجلس ورحلت هي.

- كان يجلس (عمرو) بأنفة وشموخ، ومشتعل في فمه سيجار فاخر اعتاد عليه، نفث غباره وأردف:
- لمَ جئت إلى هنا؟ لقد وافقت على اقتراحك، إذاً، ماذا تريد؟

نظر له (رشاد) بلا مبالاة، ثم قال:

- أنا وأنت نعلم جيداً كيف جلست هنا، ولكن ليس موضوعنا، لن أتحدث فيه، أنا أريد إخبارك أمرٌ واحدٌ فقط.

ضحك (عمرو) بسخرية، وتفوَّه:

- لا، أنت لا تعلم شيء، وأنا محيتك من رأسي منذ أعوام.
- والآن تذكرتني، وأنا متأكد أنني لا أفارق تفكيرك ولو لوهلة.

اعتدل (عمرو) على كرسيه، وقال بشبه عصبية:

- أنسيت من أنت؟ أنت شخص كنت مسجون، وعندما خرجت من السجن خسرت جميع أموالك في مستشفى، يعني أنك أصبحت لا شيء، فقير.

ابتسم (رشاد)، وقال مبتزاً:

- بالطبع، أنا كنت مسجون، ولكن أتعلم لمَ سجنت؟

امتعض (عمرو) ولم يرد، فتابع (رشاد):

- أجل تعلم، ولكن هيا نتحدث فيما جئت له.

قال (عمرو):

- تحدَّث.
- عمرو، دعنا من كل هذا، لقد نسيت ما حدث قديماً، مرغماً ليس أكثر، نسيته وأنا في السجن، وما يجب علينا الآن هو أن نُفرغ الأماكن التي تحمل الأحداث التي تربطنا ببعض بعقولنا، ونضع تركيزنا فيما هو قادم، فيما وُضعنا فيه بغير عَمَد، نحن الآن في مأزق، مأزق لن يتحمَّل أي خلافات بيننا، أعلم أن من المفترض أن من يقول هذا الحديث هو أنت، ولكن أنا من قلته حتى تستطيع تصديقي، وأعلم أنه يصعب أن يَخرُج مني لثقل ما حدث.

استمع (عمرو) جيداً للحديث، ولم يرد، فأكمل (رشاد):

- نتعدى هذه المرحلة فقط، ثم سأستريح من هذا، ونستطيع جميعاً نسيان بعضنا البعض.

ظل (عمرو) يفكر، مر وقتٌ كثير حتى أردف بإيمائه:

- حسناً.
- أهي مجرد كلمة، أم هو ردك؟
- فكرت في كلماتك جيداً، غريبٌ أن تأتي وتقول هذا الحديث المستحيل بالنسبة لك، أنت لم يَعُد أمامك شيء لتخسره، سوى حياتك، فمن المؤكد أنك لن تتفوَّه بأي حديث، وحقاً يجب أن نضع تركيزنا فيما هو قادم، نحن الآن في خطر، لا نعلم ما هو سر هذه الرسائل، وما اللعبة التي ذُكرت، ومن يفعل هذا، وما هي مصالحه تجاه ذلك، ولمَ جمعنا نحن الثلاثة بالتحديد، وبدون أي عامل مشترك بينا.
- أجل، ولهذا أنا جئت لك، وأخبرتك حديثي هذا.

أطفأ (عمرو) السيجار الذي كان بيده، ثم قال برضى:

- حسناً يا رشاد، أنا أحدثك بجدية، لم أعد أكن لك بدخلي شيء.

أومأ (رشاد) برأسه ثم تابع:

- حسناً أصدقك، وسأرحل أنا الآن، إلى اللقاء.

نهض (رشاد) ورحل، ضغط (عمرو) على الزر الموجود بمكتبه لكي تأتي (حبيبة)، وجاءت، قال لها:

- أرسلي لي أحد العاملين.

ردت (حبيبة) مستفهمه:

- حسناً، ولكن لماذا؟
- ولمَ تسألين؟ نفذي ما طلبته.
- حسناً، أعتذر لك.

قالتها (حبيبة) ورحلت، دقائق ثم طُرق الباب، ودخل شاب في بداية العقد الثالث من عمره، وقال باسماً:

- أهلاً يا أستاذ عمرو.

لم يرد (عمرو) التحية، وسأل:

- ما اسمك؟

وضع هذا الشاب يده على صدره وأجاب:

- أنا ناصر، ومن الممكن أنا تنادني بالأسطورة.

نظر له (عمرو) بسخط، فخاف (ناصر)، وقال متلعثماً:

- حسناً، ناصر جيد.

شهق (عمرو) وأذفر، ثم قال:

- سأعطيك اسم وعنوان شخص، أريدك أن تتابع كل خطوة يتخذها، وتخبرني إيَّاها على الفور، وحاول ألا تجعله يراك، ولك مكافأة كبيرة.

اعتلت الابتسامة وجه (ناصر):

- حسناً، ما تطلبه حضرتك سيُنفذ، ولكن ما اسم هذا الشخص أولاً؟

اعتدل (عمرو) في مكانه، وأجاب:

- رشاد زهران.

* * *

(٧)

بعد مرور أسبوع

أفاق (يوسف) من نومه، نهض من على الكنبة الموجودة بمكتبه في قسم الشرطة واتجه للجلوس على الكرسي، وهذا لأنه ظل يعمل لوقتٍ متأخر أمس فقرر النوم بالمكتب.

كان أمامه أوراق كثيرة، وغير مرتبة، تركها وعاد للجلوس مرةً أخرى على الكنبة، أشبك يديه الاثنتين ببعضهما وأسند رأسه عليهما، ثم قال:

- وماذا بعد في هذه المعضلة؟

حرر يديه ثم أسند ظهره على الكنبة، وأضاف:

- لم يحدث جديد منذ أخر رسالة جاءت لي.

قالها (يوسف) ثم نهض، واتجه للهاتف الموضوع على مكتبه، حمله وقام بالاتصال على (رشاد) و(عمرو)، وطلب منهم أن يأتوا إليه لكي يتحدثوا قليلاً عن قضيتهم، ويفكرون في الخطوة القادمة.

ثم جلس على كرسيه لانتظارهم، وبدأ يرتّب الأوراق التي أمامه، لم تمر أكثر من ساعة وجاءوا، فجلسوا هم الآخرين أمامه بموازاة المكتب.

بادر (رشاد) الحديث بينهم قائلاً باستفهام:

- ألم يحدث شيء جديد لأحدكم؟

قال (يوسف):

- كنت أود أن أسأل نفس السؤال.

وأكمل (عمرو):

- لم يحدث معي شيء، ومعنى حديثكم أنكم مثلي، فماذا بعد؟

تحدَّث (رشاد):

- لا أعلم يا عمرو، أعندك شيء تقوله يا حضرة الرائد؟

أجاب (يوسف) قائلاً:

- لا لم يحدث شـ...

أوقف (يوسف) حديثه ونظر لهم قليلاً، ثم أكمل:

- مهلاً، مهلاً، لقد جئتم سوياً، وتتحدثون بلطف مع بعضكم، ونظرات الكره التي كانت بينكم اختفت تماماً، ماذا حدث بينكم؟ أخبروني.

ضحك (رشاد) ساخراً:

- كما ترى، لم يَعُد بيننا شيء، لقد نسينا الماضي كما طلبت.

نظر (يوسف) إلى (عمرو) وسأله:

- كيف هذا الود؟ أنا ظننت أن التسامح بينكم سيكون مجرد حديث عادٍ، ليس أكثر.

حرّك (عمرو) رأسه، وأجاب:

- حدث، لقد جلسنا سوياً منذ أكثر من يوم، وتحدثنا عن الخلافات التي كانت بيننا، وانتهت.

قال (يوسف) متعجّباً:

- كيف أيضاً؟ انها ليست أي خلافات.

قال (عمرو) بإصرار وهو ينظر إلى (يوسف):

- لقد حدث، هيا نكمل ما جئنا إليه.

شاهد (رشاد) ما دار بين (عمرو) و(يوسف)، ولكنه افتعل أنه غير متابع لهم، وبعد أن انتهوا سأل:

- ماذا سنفعل الآن؟

أجابه (يوسف):

- حسناً، نريد أن نتخذ الحديث مرحلة تلو الأخرى، أولاً، لمَ جُمعنا نحن الثلاثة؟ لا أعرف، لم تجمعنا هذه المعضلة ولا شيء جمعنا طيلة حياتنا سوى قضية منذ إحدى عشر عاماً، ولم يكن فيها طرف رابع، أيعرف أحدكم إجابة أخرى؟

قال (عمرو) و(رشاد) بتتابع:

- لا.

أكمل (يوسف) أسألته:

- تجمع أحداثكم جملة واحدة، وهي (الثقة في العدو)، رشاد أخبرني أنه لا يوجد لديه أعداء، وأوضح هذا، ماذا عنك يا عمرو؟

أجاب (عمرو):

- لقد تحدثنا في هذا من قبل.

أكمل (يوسف):

- كما تعلمون أنه لم يحدث أي شيء جديد يغير من مجرى الأحداث، فأنا أريد أن نبتدئ نحن من البداية حتى نستطيع تجميع أي معلومات، حتى نصل إلى أي خيط في هذه القضية.

قال (عمرو):

- لا، ليس لدي أعداء، أنت تعلم أن مستوايْ الاجتماعي لا يسمح لي بالاختلاط بأحد.

نظر له (يوسف) بغير رضى، وقال:

- متكبر، أعلم هذا.

تحدَّث (رشاد) بعدها:

- ثم ماذا؟

أجاب (يوسف):

- ثم أن الحكاية معقدة، فلقد علمنا أنها لعبة، ولكن لا نعلم كيف نلعبها، ولا حتى تحديد مفاتيحها، الهام الآن ألا تخافوا، لا يجب أن تخافوا.

عقَّب (رشاد):

- حقاً، من يخاف يُحكَم.

فقال (عمرو):

- أنا لست خائف سوى على عائلتي.

(يوسف) مطمئناً (عمرو):

- لا تقلق، غداً أو بعد غد، سأرسل لمنزلك حماية.

أكمل (يوسف):

- نحن نريد أن نفعل شيء يحرك أحداث هذه اللعبة، حتى نستطيع أن نُوقِع بفاعلها.

أضاف (رشاد):

- لا أحبذ هذا، ولن نستطيع أيضاً، فهي ليست بأيدينا.

وأكمل (عمرو):

- أنا أعتقد أن ما نستطيع فعله الآن هو أن أي حدث جديد يحدث نخبر بعضنا إيَّاه، فلننتظر.

وافق (رشاد) رأي (عمرو)، فقال (يوسف):

- حسناً، ليس الآن، وإن لم يحدث جديد فسأفكر في شيء نفعله.

قال (رشاد) و(عمرو) بتتابع:

- حسناً.

قالها الاثنين ثم نهضا لكي يرحلا، فأكَّد عليهم (يوسف):

- لا تنسيا، أي حدث جديد أو رسالة جديدة، عليكم أن تخبروني إيَّاها.

أومأ الاثنين برأسهم متفهمين الحديث، ثم رحلوا.

* * *

بعد مرور أكثر من ساعة

يجلس (عمرو) في المتجر، تغيّرت أحواله، وباتت وجهة تفكيره مختلفة تماماً عما كانت منذ قليل، فقد ظل يفكر في قراره تجاه (رشاد)، وينتظر نتائجه.

طُرق باب المكتب، سمح لمن بالخارج بالدخول، فكان (ناصر).

دلف إليه وقال:

- مرحباً يا أستاذ عمرو.

لم يأبه (عمرو) لتحيته، وسأل:

- أحدث شيءٌ هام؟

لا أعلم مدى أهميته بالنسبة لك، ولكنني قد رأيت رشاد بعدما خرج من قسم الشرطة معك ذهب إلى كافية يبعُد عن هنا بكثير، وجلس مع شاب أسمر اللون ونحيف، ويبدو من مظهره أنه في نهاية العشرينات، وهيئته مريبة، ليس شخصٌ بنفس مستواه.

- حسناً، أكان معهم شيء؟

لم يفهم (ناصر) مدلول السؤال، فأجابه سائلاً:

- ماذا تقصد؟ أكانوا يحملون شيئاً؟

أجاب (ناصر):

- لا، لم يكن معهم شيء، ولم تُطيل جلستهم أيضاً.

أومأ (عمرو) برأسه، ثم أضاف:

- حسناً، اذهب وأكمل متابعه، وأي حدث مهما كان بسيط أخبرني إيَّاه على الفور.
- حسناً، إلى اللقاء.

* * *

(٨)

في اليوم التالي

"هُناك عدة أشياء يجب أن نتذكرُها جيداً، منها جلستنا التي كنا نتوسلُ فيها إلى الله لكي يُغير مجرى حياتنا، ومشاعرنا تجاه أقرب البشر إلينا التي لا تتغير بتغيُر الأحداث، فهم من يجعلوا حياتنا تسير بالوجه الأكمل، سواء كانت تلك الحياة تعجبنا أم لا.

والحقيقة أيضاً أننا لا نستطيع التخلي عن شعورين كلٍ منهما أدنى من الآخر، وأحياناً نتلذذ بهم، وهم (الكراهية والغيرة)، هل هذه فطرة لدينا؟ أم هي مجرد مستلزمات إنسانية ننهي بها غضبنا أو استياءنا من الواقع؟

لا، بل من الواضح أنها عادات خُلقت بيننا، وتعودنا عليها، ونَمَت معنا.

ولا ريب في ذلك"

كان هذا هو صوت التلفاز، حديث لمقدم إحدى البرامج التليفزيونية، التي انتهت. وفي ظل تلك الأجواء الهادئة نستمعُ إلى صوت الموسيقى النابع من الراديو ذا المظهر القديم، راديو حالته تبدو جيدة، فتطرب الآذان وتسكن الأبدان.

حينئذ نرى (رشاد) يخرج من غرفته، وسار بوقار متجهاً للجلوس على كرسيه بمنتصف الصالة، ثم بدأ في تناول فطوره وبجانبه فنجال قهوة معتاد عليه.

أنهى (رشاد) فطوره بهدوء ممل، فهو لم يَعُد وراءه شيء ليفعله، بات يجلس بمنزله فقط، لا يخرج منه إلا إذا كان متجهاً إلى (يوسف) أو (عمرو)، فلا يوجد في حياته سوى هذا الخطر الذي دمَّرها، فالمال الذي بنى به المستشفى كان إرثه عن أبيه وخسره، وكذلك المنزل الذي يمكث فيه، فقد توفيَ الأب قبل أن يخرج ابنه من السجن بعدة شهور.

دقائق ونهض (رشاد) من مكانه، اتجه إلى مكتبه الخاص بالمنزل، جلس على الكرسي الخاص به، وظل يفكر.

* * *

على بُعد أميال

في قسم الشرطة، نرى (يوسف) خارج من مكتبه، يسير في الطرقات بخطى وئيدة متجهاً إلى مكتب المأمور، طرق الباب وانتظر السماح له بالدخول، دقيقة ودلف إلى الداخل، ألقى التحية الرسمية إلى المأمور، ثم سُمح له بالجلوس فجلس، وقال:

- مرحباً يا حضرة اللواء.

كُتب على اللوحة الموضوعة على مكتب المأمور. (اللواء/ سيف نصر)، وهو ضابط محنَّك. كبير السن. قسمات وجهه غليظة. وله شارب كث. أردف وهو ينظر إلى الورق الذي يحمله بيده:

- مرحباً يا يوسف.

أكمل (يوسف) حديثه:

- كنت أود أن أطلب من حضرتك طلب.

وضع (سيف) الورق على المكتب ونظر إلى (يوسف)، وقال:

- تفضَّل.
- أريد أن يستلم بعض زملائي بعضٍ من القضايا الموجودة معي، ويتولونها هم.
- لماذا؟

اعتدل (يوسف) بمكانه، وأجاب:

- معي قضايا هامة، وأريد أن أُفرغ جميع وقتي لها، فأنا لا أود أن أخفق في أياً منها.

أسند (سيف) ظهره على كرسيه، وقال بنظره حادة:

- جميع القضايا هامة يا حضرة الضابط، لا تستهين بشيء.
- أعلم، ولكن عندي بعض المشاكل العائلية أيضاً، ولن أستطيع أن أوفق بين عملي وحياتي الخاصة هكذا.
- وأنت ترى أن تقليل عدد القضايا من عندك هو الحل الأمثل لك؟ ولا يوجد غيره.

أجاب (يوسف):

- أجل.

صمت (سيف) قليلاً يفكر، ثم قال:

- حسناً، أنا موافق، ولكن لا أريد إهمال في العمل، ولا التخاذل في شيء، مهما كان حجمه.

نهض (يوسف) من مكانه، وقال باسماً:

- حسناً يا حضرة اللواء، أشكرك.

قالها (يوسف) ثم غادر مباشرةً.

عاد إلى مكتبه، طلب من بعض العساكر أن يأتوا إليه، وأتوا مباشرةً، قسَّمهم (يوسف) إلى فرقتين، أمر الأولى بأن تتجه لحراسة منزله خوفاً على عائلته مما يمكن حدوثه، والثانية أعطاها عنوان منزل (عمرو) وأمرهم بحماية عائلته، كما وعده.

(٩)

اليوم التالي

اخترقت أشعة الشمس شرفات غرفة (يوسف)، فاستيقظ منزعجاً، لم يأبه لوضعه ونهض من الفراش، غسل وجهه بنشاط ثم ارتدى ملابسه، لم يتناول الفطور مع عائلته وهمَّ في الذهاب إلى العمل.

هبط (يوسف) المصعد وخرج من العقار، اتجه إلى سيارته لكي يغادر، عندما فتح بابها ودلف داخلها أوقفه شيءٍ ما، خرج مجدداً وقَصَد مرآة السيارة، عندما دقق النظر فيها وجد ورقة صغيرة وضعت عليها.

حمل (يوسف) الورقة وفتحها، وكان يُمني النفس أن تكون رسالة تابعة للعبة التي تداهمهم، وبالفعل كانت، لم يخطئ ظنه، كان نِصها غريب ومريب، ومن الممكن أن يغير مجرى أحداث اللعبة.

قرأ بصوتٍ مسموع:

(أعدائك هم حلفائك ... فثق به).

قالها (يوسف) بصوتٍ محاط بالدهشة، لحظات ثم أطبق الورقة وعاد مرةً أخرى إلى السيارة، وهمَّ في الذهاب إلى قسم الشرطة وهو يفكر مليّاً

في نص الرسالة، لم يمر وقتٌ كثير حتى وصل هناك، ودلف داخل مكتبه.

بدأ (يوسف) يفكر مجدداً:

- أعدائي هم حلفائي، وأثق في شخصٌ واحدٌ فقط، كيف هذا؟

صمت قليلاً، ثم تابع سائلاً نفسه:

- أيعقل أن يكون كلٍ من رشاد وعمرو أعدائي لأنهم حلفائي الآن؟ ولكن كيف أيضاً؟ ولمَ يكونوا هكذا ولمْ يكن بيننا عداءات من قبل؟ لقد تشتت الأحداث هكذا.

وضع (يوسف) الورقة على المكتب، ثم أضاف:

- سأتصل عليهم وأسأل إن حدث لهم شيئاً هم الآخرين أم لا.

قالها (يوسف) ثم حمل هاتفه وأجرى اتصالين، أحدهم مع (رشاد) والآخر مع (عمرو)، وبعد أن أنهاهم توصَّل إلى أن الاثنين لم يأتيهم أي رسائل، ولم يحدث معهم شيئاً جديداً، فلمْ يخبرهم على أمر الرسالة حتى يفكر فيما سيفعله أولاً.

وضع (يوسف) هاتفه، وحمل بدلاً منه الورقة، بات ينظر إليها بتمعُّن ويقول:

- لمْ يصلهم شيء، أي أن الأن جاء دوري، وإن كانوا هم أعدائي كما يُقال، فيجب أن أثق في أحدهم وأكون ضد الآخر وأحذر منه جيداً.

تابع:

- ولكن.. لمَ لا يكون هذا ملعوب ممن يفعل هذا بنا؟ ممكن أن يكون هذا الشخص المجهول يراقبنا جميعاً، وعَلِم أن أحدهم يريد فعل شيء في الخفاء، فأراد التخلص منه.

صمت (يوسف) برهةً، ثم أكمل وهو يحرك رأسه نافياً:

- لا لا، إن أراد هذا الشخص أن يتخلص من أحد فلن يكون عن طريقي، ومن الممكن أن يكون مدلول هذه الرسالة شيئاً آخر.

ويجب عليّ أن أصدقه.

بدأت الشكوك تساور (يوسف)، والتساؤلات أيضاً تراوده، فصمت قليلاً ليفكر أكثر، ويفسر أفضل.

دقائق ثم اعتدل في مكانه، وتمتم:

- وهذا ما سيحدث، سأسير خلف هذه العبارة.

بعدما مرت ثوانٍ جمَّه، أردف مجدداً:

- لن أخسر شيء إن لم أخبرهم على هذه الرسالة، وسأسير مع كل شخصٍ منهم بدون علم الآخر، سأُنشئ لعبة أخرى تجمعهم معي بدون معرفتهم، وأعلم منها ما يدور بداخلهم، وسأحاول أن أكون حذراً من كلاهما، وحينئذ سيكون من السهل عليّ معرفة من يفعل هذا بنا، وسر هذه الرسائل، وسر تجمعنا سوياً.

***

(١٠)

صباح اليوم التالي

استيقظ (عمرو) من نومه على اتصالاً هاتفياً، قادماً له من (يوسف)، أخبره فيه أنه يريد أن يجتمع به اليوم في قسم الشرطة، وبمفرده، وعندما استفسر (عمرو) عن السبب أخبره (يوسف) بأنه أوجد حل للوضع غيرُ المستقرّ الذي هم فيه، وعندما سأل عن مدلول كلمة بمفردك قال إنه سيجيبه فور مجيئه.

لم تمر أكثر من ساعة وكان (عمرو) قد ارتدى ملابسه وذهب إلى قسم الشرطة، وجلس مع (يوسف). بعد الترحيب قال له:

- لمَ تريدني وحدي؟

ابتسم (يوسف) وأجاب:

- كنت أعلم أن هذا ما سيثير فضولك، وليس الحل.
- أريد إجابه أخرى.

تابع (يوسف) ابتسامته، ووضع ساعديه الاثنين على المكتب، ثم أردف:

- الحل سيكون عندك أنت، وسنصل إليه بمساعدتي.

سأل (عمرو) مستفسراً:

- كيف؟ ولمَ أنا بالتحديد؟

أجاب (يوسف) بجدية:

- ألم تسأل نفسك من قبل كيف يكون الحل عند هذا الشخص؟ وكيف نثق فيه؟ قاتلٌ، قضى عقداً في السجن، و...

قاطعه (عمرو):

- مهلاً، أنت من طلب هذا، أنت من طلب أن ندع جميع الخلافات وننسى الماضي.

امتعض (يوسف) قليلاً، ثم أكمل حديثه متلعثماً في البداية:

- أجل، ولكن مَن يأبه لمثل هذا الشخص، أنت رجل وقور وغني، والأعين كثيرة عليك.

أضاف (عمرو):

- لقد حُرقت المستشفى التي كان يُنشئها، أي أنه طرفٌ هام معنا.
- متعجّب أنك تدافع عنه الآن، أنسيت ما فعله؟

تلعثم (عمرو) قائلاً:

- لا، لم ولن أنسى، وأعتقد أن السجن جعله يتغير، وكف عن هذا قليلاً إنه سؤال ليس في صميم موضوعنا.
- حسناً، دعني أكمل ما أفكر فيه.
- تفضَّل.

اعتدل (يوسف) على كرسيه، ثم تفوَّه:

- من الممكن أن يكون شخصٌ حدث معه ومعك خلاف ما وأراد الانتقام، وكان هذا الشخص يعرف ما حدث قديماً بينك وبين رشاد، فأراد أن يُدخل رشاد في المنتصف، وبدأ به، ثم جعلني أيضاً أشترك معكم حتى تبتعد الشكوك عن أعدائك أنت فقط، ويكون الحل في أعيننا على نطاقٌ واسع، وليس محصورٌ عليك، وبات يرسل هذه الرسائل حتى يشتتنا عما يريد فعله بك.

بدأ (عمرو) يفكر في حديث (يوسف) جيداً، وبدأ يقتنع بما يُقال، ولكن لم يرد، فتابع الأخير:

- دعنا أنا وأنت نثق كل الثقة في بعضنا، ونكمل الطريق وحدنا، ولكن يجب أيضاً أن نكون حذرين من أي خطوة يتخذها رشاد حينما نبتعد عنه.

للحظات، بعد أن فكَّر (عمرو) في الحديث جيداً قال:

- اعتقدت هذا في البداية، وكنت قلقاً من رشاد، ولكن لم أخبر أحداً، فلقد أرسلت شخص يراقبه، ولكن لم يرى منه أي تصرف مريب حتى الآن.
- جيد، يجب أن تكمل هكذا.

ثوانٍ ثم تابع (يوسف):

- وعندما يحدث شيئاً مثيراً للاهتمام أبلغني إيَّاه.

بعدما قيلت نهض (عمرو) من مكانه، ورد:

- حسناً، واعذرني، يجب أن أرحل الآن لكي أذهب إلى المتجر، وأطمئن عليه.
- صحبتك السلامة.

قالها (يوسف) ثم غادر (عمرو) مباشرةً.

* * *

بعد مرور ساعة

ظل (يوسف) جالساً بمكتبه كما هو، ويحدِّث نفسه:

- عمرو يراقب رشاد منذ البداية، هذا يعني أن الثقة منعدمة بينهم، جيد جداً، هذه أول استفادة من هذه الخطة.

طرق العسكري الباب ثم دخل، وقال:

- رشاد زهران يريد مقابلة حضرتك الآن، أأسمح له بالدخول؟

أومأ (يوسف) برأسه ولم يرد، خرج العسكري ثم لحظات ودخل (رشاد)، ألقى التحية على (يوسف) ثم جلس، فقال له الأخير:

- جئت بالميعاد المحدد.
- كما طلبت مني، ماذا تريد إذاً؟ ولمَ تريدني وحدي؟ أهناك شيءٌ خاص وبعيداً عن مشكلتنا؟

ابتسم (يوسف)، وأجاب:

- لا ليس بعيد، فإنه في صميمها، إن حل هذه المشكلة سيكون عندك أنت، وسنصل إليه بمساعدتي.

تعجَّب (رشاد) سائلاً:

- كيف؟

قال (يوسف) موضِّحاً:

- لا تنزعج مما سأقوله هذا، إنني أريد المصلحة العامة لنا.

أومأ (رشاد) برأسه متفهّماً الحديث، فأجابه (يوسف):

- سأخبرك، من الممكن أنك عندما كنت في السجن كرهك أحد السجناء لسببٍ ما أنت لم تأبه له، وعندما خرج أراد أن ينتقم منك، فحرق المستشفى وقرر أن يضع عليها عبارة غامضة، ويبدو أنه بحث عنك فعرف واقعتك مع آل العادلي، فقرر أن يُدخل عمرو في المنتصف، وجعلني أيضاً أشترك معكم حتى تبتعد الشكوك عن أعدائك أنت فقط، ويكون الحل في أعيننا على نطاقٌ واسع، وليس محصورٌ عليك، وبات يرسل هذه الرسائل حتى يشتتنا عما يريد فعله بك.

استمع (رشاد) للحديث جيداً، وبعد انتهاءه قال:

- حسناً، حديثك مقنع جداً، ولكن لمْ أعلم حتى الآن لمَ نجلس الآن بدون عمرو؟
- كما قلت لك، الحل بين يديك أنت، فلمَ يأتي عمرو؟
- حسناً، ما عليّ فعله إذاً لكي نجد حل لهذه المعضلة؟

أخذ (يوسف) نفساً عميقاً ثم أذفره، وتحدَّث:

- أريدك أن تكتب لي جميع أسماء المجرمين الذين تعاملت معهم بالسجن، وأنا سأبحث عنهم وأعرف من خرج في هذه المدة، وأحقق خلفه.
- حسناً، ولكن ممكن أيضاً أن أخبر عمرو حتى لا يشك فيـ..

قاطعه (يوسف) حازماً:

- لا لن نخبر عمرو، لن يكون له فائدة، سيضيع وقتنا بحديثه الذي بدون فائدة، وكما تعلم أنه شخص متكبر ولا يختلط بأحد، فسنبحث نحن في هذه المشكلة ونتركه، لقد وضعت عنده حماية وكفى عليه هكذا.
- حسناً.

قال (يوسف) وهو يعطي (رشاد) ورقة وقلم:

- اكتب هنا أسماء المجرمين كما أخبرتك، واكتب أيضاً سبب سجنهم إن كنت تعلم.

أومأ (رشاد) برأسه وأخذ الورقة، دقائق وأنهى ما عليه فعله، ثم أعطاها إلى (يوسف) مرةً أخرى، وقال:

- ها هم كما طلبت، سأغادر أنا الآن.

قالها (رشاد) فقابله (يوسف) بإيمائه، ثم رحل، وانتظر الأخير بالمكتب كما هو، يفكر مليًّاً فيما عرفه اليوم، ويوجِد له نتائج.

* * *

بعد مرور دقائق، مزَّق (يوسف) الورقة وأردف:

- دعني من أسماء هذه الحثالة الآن، لقد علمت منذ قليل أن رشاد مطمئن لعمرو، وهذا على عكسه، إذاً يبدو أن الرسالة لم تخطئ، شخصٌ منهم يكنّ مكروهاً، والواضح منذ البداية أنه عمرو.

صمت (يوسف) قليلاً، ثم أضاف:

- يجب الآن ألا أكترث بالبدايات، فإنها لعنة، ويجب أيضاً أن أكمل كما أنا، لكن بطريقة أخرى أفضل من هذه.

لحظات وتابع:

- وأريد بعد أن أنتهي من هذه اللعبة أن أضع تركيزي للعبة الأكبر، التي من الممكن أن يأتي سرها وحده بعد الانتهاء من هؤلاء، فأعتقد الآن أن المتسبب في كل هذا يريد التخلص منهم، أو من أحدهم، لسبب

هام جعله يشركني باللعبة، وهذا ما كنت أستبعده في البداية.

* * *

(١١)

اليوم التالي

كان عطلة (عمرو)، إنه يوم اعتاد فيه أن يبتعد عن العمل الذي لا يبذل فيه مجهود لكي يستريح مع عائلته، ولكن.. هذا اليوم قرر الجلوس بمفرده، في مكتبه الخاص بالمنزل، وظل يفكر حائراً فيما قاله (يوسف)، ويسأل ذاته:

- لماذا الضابط يريدني أن أبتعد عن رشاد وهو أكثر المتضررين؟ لقد وافقته الرأي وأنا لم أفهم اعتقاده جيداً.

يلوح على وجه (عمرو) علامات استفهام كثيرة، فيبدو أنه سأم من كثرة التساؤلات التي تراوده، وسأم أيضاً من صعوبة فهمه للأحداث، فقرر أن يضع جميع أوقات فراغه أمامه لمحاولة معرفة ما يدور حوله.

بعد عدة احتمالات فرضها:

- هذا الضابط النذل يشككني في رشاد زهران، الذي تنازل عن عشرة أعوام كره لي من عمره لإنهاء هذا الأمر، رشاد الذي لم أجد منه شيء نقيض لأفعالي أنا

ويوسف، فأعتقد الآن أن اللعبة باتت داخلنا وليست علينا.

قطع حبل أفكار (عمرو) اتصالاً هاتفياً، جاء له من (رشاد)، فأجاب:

- مرحباً رشاد.

لم يرد (رشاد) التحية، وقال مسرعاً:

- لقد جاءت لي رسالة جديدة منذ قليل.
- حسناً، أخبرت أحد بها؟
- لا، لقد هاتفتك مباشرةً فور رؤيتي للرسالة.

تعجَّب (عمرو) من تصرُّف (رشاد)، فقال له:

- أود أن أقابلك الآن، وعندما آتي حدثني عنها.
- حسناً.

قال له (عمرو) عنوان مقهى لكي يجتمعوا فيه، ثم أنهى المكالمة وهمَّ في ارتداء ملابسه مسرعاً، ونزل من منزله قاصداً هذا المقهى.

مر أكثر من نصف ساعة حتى وصل إلى هناك، وجد (رشاد) جالساً في انتظاره، فجلس وحيَّاه، ثم قال:

- ما هو نص هذه الرسالة؟

أجاب (رشاد) دون مقدمات تُذكر:

- (وقت الاتفاقيات انتهى، دعونا نكمل).

صمت (عمرو) لكي يقدر على استيعاب معنى هذه الجملة، فتابع (رشاد):

- كان هذا هو نَصها، أتعرف ما المقصود هنا؟

أجابه (عمرو):

- لا، لا أعلم.

ابتسم (رشاد) ثم قال:

- أنا أعلم.

صمت (رشاد) برهةً ثم أكمل:

- حدث أمر أمس كنت أنوي إخبارك إيَّاه، حتى قبل مجيء الرسالة إليّ.
- ما هو؟

ضمَّ (رشاد) إبهام يده اليمنى بصباعيه الاثنين المقابلين له وحركهم إشارةً منه إلى (عمرو) بأن يتحلى بالصبر، ثم بعدها أردف:

- اجتمع يوسف بي عصر أمس، وأخبرني أن حل هذه المعضلة عندي، وسنصل إليه بمساعدته، وأوضح لي أسباب حديثه هذا.

اتسعت حدقتا عين (عمرو) ذهولاً، وأكمل استماعه لقول (رشاد):

- وأخبرني أيضاً أن أبتعد عنك، وأنك لست ذو فائدة، وأن أحذر منك، ولكن لم يقُل لي سبب هذا الحذر.

دهشة واضحة على (عمرو)، الذي تمتم:

- وأنا أيضاً، لقد قال لي هذا الحديث ولكن بصيغة موازية له، وأوضح لي سبب الحذر منك، وهو أنك رد سجون.

تعجَّب (رشاد)، وقال:

- هذا يعني أن يوسف يلعب بنا؟
- أجل، هذا هو التفسير الوحيد.

صمت الاثنين قليلاً وهم مندهشان، فقد عرفا ما يريد فعله (يوسف)، ويبدو أن الأمور باتت واضحةً لهم.

أكمل (عمرو) الحديث بعد تفكيراً دقيقاً:

- أنا أعتقد شيئاً الآن، يبدو أن يوسف هو المتسبب في كل هذا، هو من حرق، هو من اقتحم، هو من يرسل الرسائل، أي أن اللعبة داخلنا.
- ماذا تعني؟

- إنه الوحيد في هذه اللعبة الذي لم يتضرر بأي شيء، ألم تلفت نظرك هذه النقطة؟
- أصبت، ولكن أهناك تفسيراً آخر أقوى من هذا؟
- أجل.
- لا انتظر، أنا أيضاً وجدت تفسير.

أوقف (عمرو) كلماته قبل أن يتفوَّه بها، واستمع لـ(رشاد):

- يبدو أن بعد انتهاء قضيتنا قديماً قرر أن يحقق بها مجدداً، ووجد أنه على خطأ، ولكن لم يعيد التحقيق مرةً أخرى، وعندما علم أنني خرجت من السجن أراد يتخلص من كلانا عن طريق هذه اللعبة الدنيئة، وهذا حتى لا نتفق عليه بأي طريقة تهني أمره في السجن، تفكيرٌ عقيم.

ساءت علامات وجه (عمرو)، فأكمل (رشاد):

- لا، أنا لست أقصدك هنا أيضاً، لقد تفاهمنا الموضوع من قبل، وأنا لا أكنّ لكلاكما أي مكروهاً.

أومأ (عمرو) برأسه، وأضاف:

- حسناً، لن أتحدث في هذا الموضوع القديم ثانياً، فالآن يجب ألا نفعل شيء يعلم عن طريقه يوسف أننا فهمنا مسار خططه اللعينة، ونفكر في حل لنوقع

به، ويجب أيضاً ألا نكترث بالرسائل التي سوف يرسلها، إنه خُبث ضباط.

- بالضبط، لن نأمن له بعد الآن.

قالها (رشاد)، ثم لحظات وسأل (عمرو):

- أهناك شيئاً آخراً نفعله؟

أجاب (رشاد):

- لا، من الأفضل الآن أن نكمل معه هكذا، وكأننا لا نعلم شيء، حتى نعرف ما الهدف من اجتماعيّ أمس أولاً.
- حسناً.

بعد أقل من نصف ساعة حديث انتهيا، وغادرالاثنين هذا المقهى.

* * *

كان (عمرو) عائداً إلى منزله عن طريق سيارته الخاصة باهظة الثمن، حمل هاتفه ثم اتصل على (ناصر)، وعندما أجابه قال برضى:

- أريدك أن تنتهي من مراقبة رشاد.
- لماذا؟

لم يجبه (عمرو) وأنهى الاتصال مباشرةً، ثم أردف:

- يريد أن يثرثر معي، وغد.

* * *

(١٢)

بعد مرور أسبوع

الوضع يبدو مستتب ومستقر في قسم الشرطة، و(يوسف) جالساً في مكتبه يواصل عمله في هدوء، كان قد قرر منذ مدة قصيرة أن يقسّم أوقاته إلى فترتين، الأولى لعمله في الشرطة، والثانية يتفرَّغ فيها لحل طلاسم الرسائل التي أتتهم، ناسياً عائلته وحياته الخاصة تماماً.

وهو يواصل عمله في تركيز دقيق، وأجواءٍ متهيئة لذلك، جاءته رسالة نصية على هاتفه، حمل الهاتف ثم بدأ يقرأ بتمعُّن:

- (ستنتهي اللعبة مع أحدهم، انظر للأخر).

تغيَّرت طريقة بعث الرسائل، ولم يتغير محتواها وعمق مدلولها.

كان هذا هو أول ما انتبه إليه (يوسف)، لأنه متوقع ما سيحدث، فلم يعد يندهش من شيء. فقال:

- أحدهم، وأنا لا أعلمه، إذاً كان تفكيري منذ البداية صحيح.

صمت قليلاً يفكر في محتوى الرسالة الأخيرة هذه، ثم تابع:

- لن أثق في أحدٍ منهم حتى أتأكد من حسن نواياه، لقد وجدت بداية الحل، وأتمنى أن يمر بسلام.

قالها (يوسف) ثم حمل الهاتف التابع لقسم الشرطة، انتظر قليلاً بوجهٍ شريد، ثم أكمل مساره وبدأ يتحدث فيه:

- حضرة النقيب، ائتِ لي الآن.

مر أكثر من خمس دقائق وطُرق باب المكتب، ثم دخل ضابط برتبة نقيب، ويدعى (محمود طاهر)، ضابط صغير السن ويسير بشكل جيد في عمله. ألقى التحية الرسمية على (يوسف)، ثم جلس وقال:

- كيف الحال؟
- بخير، كنت أريدك في مهمة خاصة لي.

أومأ (محمود) برأسه متقبّلاً حديث (يوسف) وانتظر رده، وكان الأخير قد صمت قليلاً حتى يرتّب أفكاره وما سيقوله.

دقائق ثم أردف:

- أريدك أن تجمع لي معلومات عن شخصين، أحدهم كان سجين والآخر شخص مدني.
- حسناً، ما هي أسمائهم؟

- قبل أسمائهم أريد اخبارك شيء، أريدك أن تجمع لي كافة المعلومات عنهم منذ بداية العام الماضي حتى الآن، وليس طيلة حياتهم، أريد منذ خروج الشخص الذي كان مسجون من السجن.

أومأ (محمود) برأسه متفهماً، ثم قال:

- كما تريد.
- حسناً، هم رشاد زهران وعمرو العادلي.

قال (محمود) بتعجُّب:

- الأخير هذا هو مالك متجر مجوهرات العادلي أم شخصٌ آخر؟

أجاب (يوسف):

- أجل هو.
- حسناً، سأبحث جيداً خلف أسوارهم، سآتي لك بما لا يعرفونه هم عن أنفسهم، إلى اللقاء.

ودّعه (يوسف) فغادر، وبقيَ هو في مكتبه كما كان.

***

بعد مرور ساعة

مرت أفكار كثيرة برأس (يوسف) دون أن يكترث لها، وظل يفكر في غيرها ليرى ماذا سيفعل حيال هذا الأمر؟ كان في معتقده أنه لم يحدث شيئاً يُذكر في هذه المعضلة بعد دخوله فيها غير رسالتيه الأخيرتان، فلم يكن يعلم برسالة (رشاد).

وفي النهاية.. قرر محادثته هو و(عمرو) ليُنهي الأحداث أمامهم، ويقول كفى هكذا، ليرى ردود أفعالهم وما سيحدث بعدها منتظراً قدوم التحريَّات عنهم.

حمل (يوسف) هاتفه واتصل على (رشاد) أولاً، فأجاب الأخير:

- مرحباً حضرة الرائد.

تصنَّع (يوسف) الأسف في حديثه:

- مرحباً رشاد، دون أي مقدمات تُذكر، أعتقد أن يجب اغلاق هذا الأمر الآن من اتجاهي، فلم يحدث أي شيء يحركنا، أنا بحثت ودققت خلف هذه الرسائل ولم أصل لشيء، والنيابة هكذا، انس كل ما قلته لك، فالأمر بات يستصعب عليّ.

تعجَّب (رشاد) سائلاً:

- وماذا عما قلته لي منذ فترة؟

- ماذا تقصد بالتحديد؟

أجاب (رشاد):

- أخبرتني أنك تشك في أحدٍ من المجرمين الذين كانوا معي بالسجن، وقلت إن من الممكن أن يكون هذا الشخص يعلم بواقعتي مع آل العادلي وحرق المستشفى لغرض الانتقام، فأدخلك أنت وعمرو بالمنتصف لتبعد عنه الشكوك، فأخذت مني أسماء جميع المجرمين لكي تبحث عنهم، وطلبت مني أيضاً أن أبتعد عن عمرو وأن الحل بين يديّ أنا فقط، وقلبها ظللت تعنّفنا حيال هذه المشكلة، ولم نرى شيء منك حتى الآن، حديثي صحيح أم أنا أقول شيءٌ جديدٌ عليك؟

تلعثم (يوسف):

- بالطبع حدث، وأنا بحثت عن الأسماء التي أعطيتني إيَّاها، ولم أصل لشيء، ولهذا أنا أحدثك الآن، لقد فشلت في فك شفرة هذه الرسائل وأسرارها.

صمت (رشاد) قليلاً، ثم تنهَّد وقال:

- حسناً، وما الذي يمكن فعله الآن؟

- من الممكن أن تعود إلى النيابة ليحققوا هم بالقضية مرةً أخرى، اعذرني يا رشاد، لم أقدر على مساعدتك.
- حسناً، أُقدّر موقفك، ولن أعود للنيابة، لقد تنازلت عن القصية تماماً، وبما أن لم يحدث شيء منذ الحريق فأنا راضٍ عن هذا، ومسامح.
- حسناً يا رشاد، كما تود، إلى اللقاء.

انتهت المكالمة وكلاهما أخبر الآخر بما لا يدور بعقله، فقد أخبر (يوسف) (رشاد) بأنه يأس من المحاولة في فك طلاسم هذه الرسائل، وهذا لم يحدث. والعكس أن (رشاد) أخبره أنه راضٍ عما حدث ولن يفكر في القضية مجدداً وهذا مستحيل.

وعلى جانبٍ آخر، كان (يوسف) سعيداً أيضاً بقرار (رشاد) بالابتعاد عن النيابة، وهذا ما كان قلقاً منه ولم يحدث، فاطمأن.

* * *

بعدها بدقائق تحدَّث (يوسف) في الهاتف مع (عمرو)، وأخبره ما قاله لـ(رشاد)، رد (عمرو) بنفس الرد ولكن بحديث مقابل لما دار بينهم من قبل.

تجادل معه، وظل يعطي احتمالات سيئة ستحدث له، كان جاداً على عكس (رشاد)، وخائفاً جداً.

ففي نهاية الحديث رفض (عمرو) إنهاء البحث خلف الرسائل وإيجاد باعثها، وتمسك بوضعهم الحالي، فتعجَّب (يوسف) كثيراً بسبب أن المتضرر الأكبر تنازل والآخر الأقل لا، فلم يعطه رأياً صريحاً وأنهى المكالمة.

وقرر بعدها أن يأخذ الخطوة القادمة بعد مجيء التحريّات عن كلاهما.

* * *

(١٣)

اليوم التالي

اجتمع (رشاد) بـ(عمرو) في منزله، كانا قد اتفقا على هذه الجلسة أمس بعد مكالمة (يوسف) المفاجئة لهم.

(رشاد) يقول:

- لم ندرس أقوالنا أمس، تصرفنا بعشوائية.
- أجل، ويبدو للأسف أننا أعطيناه أراء عكسية.
- ما الذي قلته بالتحديد؟ أعتقد أنه أخبرنا نفس الأمر.

أجاب (عمرو) بهدوء تام:

- رفضت أننا نكف عن البحث والكشف عن الرجل الغامض الذي يفعل هذا بنا، وأن نكمل كما نحن الآن، وظللت أقنعه أنه لم يفشل كما يقول، وكنت أتحدث معه بنبرة خوف، وذكَّرته بما قاله لي من قبل، ولم أستسلم لحديثه لأنني متأكد أنه يريد فعل شيء آخر.

ضحك (رشاد) قليلاً، ثم أردف:

- وأنا استسلمت لحديثه لأنني متأكد أنه يريد فعل شيئاً آخر أيضاً.
- من فترة يخبر كل منا أن يكون ضد الآخر معه، والآن يريد أن ننتهي، يظن أننا لن نستطيع الإيقاع به.

ابتسم (رشاد) بخبث، وقال:

- أتته رسالة واحدة لكي يدخل معنا بهذه اللعبة الحقيرة التي أنشأها، ويتصرف تصرفات غريبة ونقيضة لبعضها، يظننا أغبياء ولن نكتشف أنه من حرق المستشفى واقتحم متجرك وفعل كل هذا.
- حسناً، ما علينا فعله الآن؟

أجاب (رشاد):

- نكمل على هذا الوضع، يجب أن يكون رأي كل منا مختلف عن الآخر.
- لماذا؟
- حتى نرى ما سيفعله ونحن متضادين.
- حسناً، سنكشف حقارته قريباً، وسنعرف لمَ فعل هذا.

* * *

بعد مرور أكثر من يوم

أنهى النقيب (محمود) تحريًاته عن (رشاد) و(عمرو)، جمع معلوماته وذهب إلى (يوسف) المكتب، حيّاه وجلس معه.

كان (يوسف) منتظراً هذه اللحظة بفارغ الصبر حتى يأخذ خطوته التالية في خط سير الأحداث الذي حدده للقصة التي استخلصها من الرسائل.

بدأ (محمود) يتحدث:

- ما سيقال الآن معلومات تأكدت منها مائة بالمائة، جُمعت من أشخاص كثيرة وقريبة من الإثنين.

أومأ (يوسف) برأسه، وقال:

- حسناً، هيًا تحدَّث.
- نبدأ برشاد، كل ما قيل عنه حديث جيد، لم تأتي لي عنه كلمة واحدة سيئة، إنه رجل مدني أعزب من الطبقة المتوسطة، لا يعمل ويعيش من مال أبيه الذي تركه له بعد موته، وكان يبني مستشفى مجانية وحُرقت منذ فترة ليست بالقليلة.
- جيد، وما الآخر؟
- وقيل أيضاً وتردد أنه سجن ظلم.

- ليس حديثنا الآن، ولكنه خاطئ، أهذا كل ما جُمع عن رشاد؟

أجاب (محمود) بإيمائه:

- أجل.
- إذاً ماذا عن عمرو؟
- هذه كانت الصدمة الكبيرة بالنسبة لي.

انتبه (يوسف) للحديث أكثر، واستمع لقول (محمود):

- عمرو العادلي تاجر المجوهرات الكبير، سيرته معروفة، خليفة أبيه في الاسم والشهرة، ولكن نقيض له في الأخلاق.
- كيف؟
- حديثٌ آتٍ من عاملين معه بالمتجر وروّاد له، إنه يتاجر في الممنوعات أيضاً، وبالأخص.. الحشيش والهروين والأدوية المخدرة.

احتدت نظرة (يوسف)، ونبرة صوته:

- وغد، لمْ يشك فيه أحد حتى الآن.

حينها نهض (محمود) من مكانه، وقال:

- حسناً، ليس لي شأن بما ستفعله الآن، أي خدمات أخرى؟
- لا، شكراً لك، إلى اللقاء.

قالها (يوسف) فغادر (محمود)، وبقيَ هو مندهشاً كما كان.

لحظات من الدهشة والتفكير المستمر، ثم أردف:

- ما استنتجه قديماً واستبعدته كان صحيح، الآن تأكدت منه.

تابع:

- من يرسل هذه الرسائل شخص له عداءات مع رشاد وعمرو، وأخذ حقه من رشاد بحرقه للمستشفى، أما عن عمرو فيريد أن آخذ أنا حقه منه بتحقيقي للعدالة، فلقد أدخلني في اللعبة بطريقة غير مباشرة، وبات يرسل لي رسائل كثيرة وغامضة حتى أوقع بعمرو، ولأنني ذكيّ فعلتها، إن هذا الرجل أراد أن ينكشف أمر عمرو فصنع هذه الدائرة لتسير الأحداث كما يتمنى، فلم يكن يريد أنه يعرفه أحد وهذا ما لن أفكر فيه بعد الآن، أراد الانتقام من رشاد وحدث، أراد الإيقاع بعمرو عن طريقي وسيحدث، عمرو لم يكن يريد أن أنهي البحث وراء هذه الرسالة، كان

يريد أن يظل تحت حمايتي حتى تبتعد الشكوك عنه إذا ظهرت، تصرَّف بغباء، فهو لم يتضرر من شيء حتى يخاف هكذا، شخصٌ لعين، سأوقع به في مصيدتي قريباً، فلقد جاء دوري الآن حتى أنهي هذه اللعبة، وأكف عن التفكير بها.

وأضاف مؤخراً:

- وسأخبر رشاد عن حقيقة عمرو، سأخبره أنني سأوقع به وأسجنه لأننا انخدعنا في هذا الوغد، ولن أخبره عن حقيقة اللعبة، فلقد انتهى الأمر أمامه ولم يَعُد يهمه، ولا يهمني أيضاً ما حدث له.

* * *

(١٤)

بعد مرور عدة ساعات

خرج (رشاد) لكي يحضر عدة متطلبات لمنزله، تجوَّل في أماكن عديدة، وأحضر كل ما كان يريده، وهو في طريقه للعودة إلى منزله بعدما انتهى جاءته مكالمة هاتفية، كانت من الرائد (يوسف)، فأجاب قلقاً:

- أهناك جديد؟ أولم ينتهي الأمر؟
- أجل انتهى يا رشاد، ولكن هناك جديدٌ هام، أود إخبارك إيَّاه.
- ما هو؟

تنهَّد (يوسف)، ثم قال:

- عمرو، سيُسجن قريباً.

تعجَّب (رشاد):

- كيف؟ ولمَ؟

أجابه (يوسف):

- إن عمرو يتاجر في الممنوعات، ويجب أن أحقق القانون سريعاً، وأقبض عليه.

(١٤)

بعد مرور عدة ساعات

خرج (رشاد) لكي يحضر عدة متطلبات لمنزله، تجوَّل في أماكن عديدة، وأحضر كل ما كان يريده، وهو في طريقه للعودة إلى منزله بعدما انتهى جاءته مكالمة هاتفية، كانت من الرائد (يوسف)، فأجاب قلقاً:

- أهناك جديد؟ أولم ينتهي الأمر؟
- أجل انتهى يا رشاد، ولكن هناك جديدٌ هام، أود إخبارك إيَّاه.
- ما هو؟

تنهَّد (يوسف)، ثم قال:

- عمرو، سيُسجن قريباً.

تعجَّب (رشاد):

- كيف؟ ولمَ؟

أجابه (يوسف):

- إن عمرو يتاجر في الممنوعات، ويجب أن أحقق القانون سريعاً، وأقبض عليه.

سأل (رشاد):

- وكيف علمت بهذا؟
- معلومات جاءت لي بالصدفة، ومؤكدة لأنها من ضابط صديقي.
- أنا أستبعد كل هذا، إنه ثري منذ الصغر، هذه الممنوعات لن تضيف له شيئاً أبداً.
- ولكنه فعل يا رشاد، وأنا أخبرتك لأننا كنا في غفلة عنه، وتعاونا معه، وسأنتقم منه.
- حسناً، ليس لي شأن بينكم الآن، افعل ما تشاء.
- وأنا أعلم أنك ستفكر هكذا، وداعاً.

قالها (يوسف) فأنهى (رشاد) المكالمة مباشرةً.

* * *

بعد بضع دقائق

عانى (رشاد) من تأنيب الضمير قليلاً، لأنه كان مع (عمرو) والآن يريد أن يتخلى عنه، فقرر أن يتحدَّث معه ويحذّره من بطش (يوسف).

حمل هاتفه واتصل عليه، فأجاب:

- مرحباً يا رشاد، أحدث شيئاً جديداً؟

- أجل، وخطر أيضاً.
- كيف؟

أجاب (رشاد) بأسف:

- عليك أن تحذر جيداً، يبدو أن الرائد يوسف ينشئ لك ثغرة حتى يوقع بك فيها، وأعتقد أنني بعدك أيضاً.

ارتعد (عمرو) سائلاً:

- وهل علمت ماذا سيفعل بالتحديد؟
- قيل إنك تتاجر في الممنوعات، وسيُقبض عليك.

اندهش (عمرو):

- ما هذا الهراء، الجميع يعلم من هو عمرو العادلي، كيف يقال هذا الحديث السخيف؟
- لا أعلم، أردت تحذيرك فقط.

دقائق تفكير وانتهت بالانتقام، أول ما جاء وثبت في عقل (عمرو)، فقد سأم من أفعال (يوسف) معهم، ولم يفكر نهائياً إن كان نتائج تفكيره هذا صحيح أم لا، وإن كان يفكر بخوف منذ البداية.

قال (عمرو)، بعدما ازداد حنقاً:

- حسناً، أريده أن يأتي ويُثبت عليّ شيء، وحينما يُخفق أنا من سيقضي على هذا الحقير.
- كيف ستقضي عليه؟
- سأقطع الخيط الذي يصلنا به، وبالدنيا.

* * *

(١٥)

انتهى يوم العمل في متجر العادلي، وغادر جميع العاملين بما فيهم (حبيبة)، وبقيَ (عمرو) في مكتبه وحيداً، يحدِّث نفسه كثيراً بشأن أمر (يوسف)، فازداد وجهه وجوماً. فقد كان يفكر في كيف سيمنع هذا الضابط عما يريد فعله؟ وإيقاف مخططه.

وفكَّر (عمرو) أيضاً في الانتقام من (يوسف)، بسبب حالة الذعر التي وضعهم فيها، وخداعه لهم، وما قيل من (رشاد) عنه، فقال:

- أنا لست مخطئ وحدي، أنت أيضاً يا يوسف مخطئ، ومرتكب الجريمة معي، الآن تريد أن تتخلص مني أنا ومن ثم رشاد.

ثم تابع:

- لن أسمح لك بتاتاً.

نهض (عمرو) وظل يتحرك في مكانه ذهاباً ورجوعاً بالمكتب، كان مع كل خطوة يخطوها يدرس فكرة وقرار، ويحللهم، فطال وضعه هكذا، حتى بالنهاية استقر على رد فعله تجاه الرائد (يوسف).

قال:

- معي سلاح صغير ومرَّخص، يوسف يريد وضعي بمأزق وإلقاء القبض عليّ، فأقضي أنا عليه دفاعاً عن النفس، ورشاد يشهد بما حدث، وحينها سيكون كل شيءٍ كما لم يكن.

* * *

على ضفةٍ أخرى

يجلس (يوسف) في مكتبه، يبحث في دوامات عقله عن الطريقة التي سيقبض بها على (عمرو)، يرتَّب المعلومات التي معه، ويضع كل خبرته في الشرطة أمامه لإيجاد الطريقة المثلى لما يريد، فكلٍ منهم يبحث عن طريقة للقضاء على الآخر.

فارقٌ كبيرٌ بين حال اليوم والبارحة، فارقٌ كالفرق بين تأثير الصوت والسوط، حيناً كانوا مع بعض، وحيناً أعداء، وهذه هي سُنة الحياة، ليست العداوة ولكن هي اختلاف الأحوال.

بدأ (يوسف) يتحدث بعد صمت دام كثيراً للتفكير:

- ولمَ أُجهد نفسي هكذا للتفكير والحل بسيط؟

أضاف:

- بالتأكيد هو يخزّن الممنوعات في متجره، وبالأخص مكتبه، سأذهب له وحدي، وفي وقتٍ متأخر بعد رحيل العاملين من هناك، وأقص عليه التهمة وعواقبها، وأفتش عنده حتى أجد مخبئ هذه الممنوعات، ومن ثم أقبض عليه، وينتهي الأمر.

* * *

(١٦)

مساء اليوم التالي

تكرار لما حدث أمس في نفس الوقت بمتجر العادلي، رحل الجميع وبقيَ (عمرو) في مكتبه، ففي هذا اليوم كان ينتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر منذ الصباح، وهي رحيل العاملين وبقاءه وحده.

وعندما أتت، نهض (عمرو) من مكانه وقَصَد خزانته الخاصة بالمكتب، همَّ في فتحها، وفعل، فكانت حينذاك الصدمة الأكبر في حياته، وجد ما لا يخطر على بال أحد أنه موجود في هذه الخزانة.

كيف؟ ولمَ؟ ومتى؟ كانوا أول الأسئلة المنطوقة بنبرة دهشة بعد رؤية (عمرو) لبعض الممنوعات تملأ خزانته، وبالتحديد رأى حشيش وهروين وبعضٍ من الأدوية المخدرة.

كان غرض (عمرو) من فتح خزانته في هذا الوقت هو إخراج مسدسه ليكون معه حين يحدد الوقت الذي سيقضي فيه على (يوسف)، ليُتم فعله مباشرةً، لأنه كان قد نوى على هذا ولن يتراجع فيه.

ولكن بعدما رأى هذه الأشياء في خزانته أخرجها ووضعها على مكتبه، ومن ثم أحضر مسدسه ووضعه بجانبهم، وهو مصدومٌ وفي حالة من الدهشة والحيرة.

لحظات ووضع (عمرو) يديه الإثنين على رأسه، وحدقتا عينيه متسعتان، هول المفاجأة كان شديداً عليه، فتحدَّث:

- فعلها يوسف الحقير، ولكن كيف فعلها؟ ومتى؟

تابع بصوتٍ مسموع:

- يجب أن أتخلص من هذه الأشياء على الفور، قبل أن يكتشفها أحد معي.

قالها (عمرو) ثم ازدادت صدمته أكثر، وتابعها ازدياد ضربات قلبه خوفاً، وهذا بعد رؤيته للرائد (يوسف) يدخل عليه المكتب بأعصابٍ باردة وهدوء يصل حد الموت، وعلى وجهه ابتسامة خبيثة ومستفزة، فلقد رأى هذه الممنوعات أمامه.

- اختصرت عليّ الكثير من الوقت.

رد عليه (عمرو) متلعثماً:

- نفَّذت لعبتك حتى الآن كما تريد، ولكن أنا لن أسمح لك بإكمالها.

ضحك (يوسف) ساخراً:

- ما هذا الهراء الذي تقوله؟ أي لعبة تتحدث عنها؟ التحريّات أوضحت لي أنك تتاجر في الممنوعات، ولقد أمسكتك الآن وهم بحوزتك، وأنا آتٍ لك....

قاطعه (عمرو) صائحاً بغضب:

- أنت من وضعتهم عندي لتنفذ خطتك، والقضاء عليّ.

لم يرد (يوسف) ونظر له بضجر، فأضاف (عمرو) بصوتٍ مهزوز:

- أنا وأنت نعلم جيداً أننا مخطئين، لن يُقضى عليّ وتبقى أنت.

حينئذ تعجَّب (يوسف) قليلاً مما سمعه:

- مخطئين في ماذا؟ ما هذا الذي تقوله؟
- بلى، أتنكر مجدداً؟

ارتبكت أعصاب (عمرو) بشدة، وازداد الوضع توتراً، وكان (يوسف) حتى هذه اللحظة متماسك، ولم تظهر عليه أي علامات توضح أنه مهزوزاً من الداخل أمام (عمرو) المرتبك بشدة، الخائف مما سيحدث، ولكن قد اندهش من قوله الأخير، ورد متجاهلاً حديثه:

- كف عن هذه الثرثرة الفاشلة، أتعلم ما هي عقوبة الشخص الذي يُمسك وبحوزته ممنوعات أياً كانت هي؟

نظر له (عمرو) بسخط ولم يُجبه، فأكمل (يوسف):

- سأجيب أنا، يُنَص في المادة ٣٤ على أن يعاقب بالإعدام، أو الأشغال الشاقة المؤبدة، كل من حاز أو أحرز أو اشترى أو باع أو سلم أو نقل أو قدم للتعاطي جوهراً مخدراً وكان ذلك بقصد الإتجار، أو أتجر فيها بأية صورة. وأنت الآن بحوزتك خيرٌ كثيرٌ، بالتأكيد تاجرت فيه، والآن أُمسكت وهم بحوزتك.

قالها (يوسف) ثم أخرج مسدسه وأشهره في وجه (عمرو)، وتابع:

- لا مفر يا ابن العادلي، هيا معي بدون جدال.

صنع (عمرو) ابتسامة خبيثة ورسمها على وجهه، ليوضح للرائد (يوسف) أنه ليس خائفاً، وقال له بعد أن حمل مسدسه ورفعه بمقابلة المسدس الآخر:

- كلا، أنا لن أخرج من هنا إلا وأنا محمولاً على الظهر.
- ما الذي بوسعك فعله الآن؟ قتلي مثلاً!

أومأ (عمرو) برأسه، ثم أردف مغتاظاً:

- أجل، فأنت مخادع، حرقت مستشفى رشاد، واقتحمت متجري وفعلت كل ما حدث فيه، وأرسلت لنا هذه الرسائل لكي تفعل ما تشاء بنا ونقع في دائرة كره أكثر مما كنا فيها، ليتخلَّص كلانا من الآخر، لقد اكتشفنا لعبتك الحقيرة، فلمَ كل هذا؟ لم يفعل فينا أحد بك شيء لتفعل أنت بنا هذا.

تعجَّب (يوسف) مجدداً، ورد مستفهماً:

- ما هذا الهراء الذي تقوله؟ أجننت؟ أعلم أن هول المفاجأة قاسٍ عليك، ولكن ليس بالدرجة التي تجعلك تثرثر بجنون هكذا، هيَّا سلّم نفسك وتعالى معي بدون مقاومة، لا تجعلني أستخدم العنف معك، أنا هادئ حتى الآن.

هز (عمرو) رأسه، وقال:

- لا، لقد سأمت منك، أنا من سيستخدم العنف.

قالها (عمرو) ثم جهَّز مسدسه للاستخدام، في ذات اللحظة التي فعل فيها (يوسف) هكذا حذراً، أشهر الاثنين سلاحيهما في مقابلة بعضهما، وكل منهما نهاية مسار طلقاته في عنق الآخر.

القلق والخوف مسيطران على (عمرو) بشدة، والانتقام سيَّد قراراه، أما (يوسف) فلقد جاء منذ البداية للقبض على الأول وتحقيق العدالة في نظره، والآن بعد رد فعله معه قرر أن ينهي أمره للأبد، وبحكم رتبته لن يستطيع أحد معاقبته، فلم يكُن خائفاً مثله.

اشتعلت الأمور كما لو كانت بركاناً، وازدادت الأنفاس توتراً، وبات القرار على وشك التنفيذ من (عمرو)، لم يمر وقتٌ كثيراً، وها قد حدث وضغط على زناد مسدسه وأخرج طلقته، في نفس الثانية التي ضغط فيها (يوسف) على الزناد هو الآخر، لتمر الطلقتان بجانب بعضهما، ولتودعا روحا شخصين، فقد عانقت كلٍ منهما عنق الإثنين، وخرًا صريعين، فخرجت أرواحهم وودعت رميتهم أرضاً، وهم بمنتصف دمائهم السائلة.

* * *

بعد مرور ما يقارب دقيقتين، تحرَّك باب المكتب وفُتح، دخلت قدمان ووقفا أمام جثتيّ (عمرو) و(يوسف)، كانتا قدمان لفتاة، قدمان تحملان قواماً مثيراً، ألا وهم لـ(حبيبة) التي تعمل هنا بالمتجر.

القلق والخوف مسيطران على (عمرو) بشدة، والانتقام سيَّد قراراه، أما (يوسف) فلقد جاء منذ البداية للقبض على الأول وتحقيق العدالة في نظره، والآن بعد رد فعله معه قرر أن ينهي أمره للأبد، وبحكم رتبته لن يستطيع أحد معاقبته، فلم يكُن خائفاً مثله.

اشتعلت الأمور كما لو كانت بركاناً، وازدادت الأنفاس توتراً، وبات القرار على وشك التنفيذ من (عمرو)، لم يمر وقتٌ كثيراً، وها قد حدث وضغط على زناد مسدسه وأخرج طلقته، في نفس الثانية التي ضغط فيها (يوسف) على الزناد هو الآخر، لتمر الطلقتان بجانب بعضهما، ولتودعا روحا شخصين، فقد عانقت كلٍ منهما عنق الإثنين، وخرًا صريعين، فخرجت أرواحهم وودعت رميتهم أرضاً، وهم بمنتصف دمائهم السائلة.

* * *

بعد مرور ما يقارب دقيقتين، تحرَّك باب المكتب وفُتح، دخلت قدمان ووقفا أمام جثتيّ (عمرو) و(يوسف)، كانتا قدمان لفتاة، قدمان تحملان قواماً مثيراً، ألا وهم لـ(حبيبة) التي تعمل هنا بالمتجر.

كانت الابتسامة على وجهها تتراقص بخبث، فقد استمتعت بمشاهدة المنظر جيداً، وأمعنت النظر فيه.

لحظات ثم أردفت:

- تمَّت على أكمل وجه.

قالتها ثم نادت:

- عماد، هيَّا.

حينئذ دخل شاب أسمر اللون، كان يحمل كاميرا للتصوير، وضعها على عينه ليصوّر هذا المشهد، فقد ابتعدت (حبيبة) من أمامه وأصبحت جثث القتلى بمنتصف الكادر، والدماء تحوطهم في منظر مريب.

التقط هذا الشاب الصورة، ثم قال:

- لوحة فنية خالدة.

(١٧)

منذ عام ونصف ..

ليلةٌ باردة، وبعد منتصف الليل، وفى أحد عنابر سجون قاهرة المعز، كان يجلس (رشاد زهران) بين السجناء واجماً، ينظر أمامه بشرود، فقد صُنِّف من المجرمين وهو ليس كذلك. بدأ يحدَّث نفسه قائلاً بصوتٍ مخنوق:

- يومٌ وتنقضى المدة، عشرة أعوام مروا مرور الضوء.

صمت قليلاً ثم أضاف:

- لقد تعديت سن الثلاثين بكثير، ياللبؤس.

فجأة جاء شاب في نهاية العشرينات، كان أسمر اللون، جسده نحيف، وتلوح عليه سمات الشخص كثير التردد على السجن، ولكن بدا أنه بديهي جداً. جلس بجانب (رشاد) وأردف:

- أنا أدعى عماد، مرحباً بك.

نظر له (رشاد) ولم يرد التحية، فتابع (عماد):

- أخبروني الشباب هنا أنك لا تختلط بأحد، لقد أصابوا.

كان (عماد) يُعرف بثرثرته وفضوله. أكمل (رشاد) صمته فأكمل (عماد) حديثه مجدداً:

- هل من الممكن أن تخبرني لمَ شخصٌ وقورٌ وهادئٌ مثلك هنا؟

ابتسم (رشاد) ولم يعقِّب، فقال (عماد):

- أعني كيف سجنت؟

تابع (رشاد) ابتسامته، ثم لحظات وبدأ يسرد دون مقدمات:

- منذ عشرة أعوام، وفي إحدى الطرق الخالية ليلاً، كنت أسير أنا وأعز أصدقائي خالد العادلي رحمة الله عليه، صدمته سيارة ولم تقف، هرب سائقها، زُعرت وتوجست كثيراً، كان رد فعلي حينها هو أن أهاتف أخيه الذي يكبرنا بعامين، وهذا حتى يأتي ويقلنا لأقرب مستشفى، ويا ليتني ما فعلت، لم تمر دقائق كثيرة وجاء عمرو شقيق خالد، حملت خالد لكي أضعه في السيارة كي لا يضيع وقت أكثر فمنعني عمرو، فُجئت مما حدث وتشتت تفكيري، أخبرت عمرو أن الوقت يداهمنا وحياة أخيه بخطر، لم يأبه لقولي وظل يتساءل عما حدث لنا، كان الظاهر من تصرفاته حينها أنه لا يريد اللحاق بحياة أخيه، ولم

يكن بيدي شيئاً لأفعله، مر الوقت سريعاً وأخرج خالد أخر أنفاسه، خرجت روحه الطاهرة وودعتنا، وضعت خالد على الأرض وظللت أبكى، بدأت دموعي في العدوْ، ولم يكترث عمرو لموت أخيه، ورأيته ابتعد عنا بعدة خطوات وأخرج هاتفه وتحدث فيه، مر ما يقارب دقيقتين ثم عاد، نهضت حتى أعاتبه فوجه لي لكمة مباشرةً ثم دفعني تجاه سيارته وقيدني ووضعني بداخلها، ثم اتجه لأخيه وجلس بجانبه وأجهش في البكاء، لم أكن أعلم حينها لمَ يفعل هذا؟ مرت دقائق جمَّه ورأيت سيارة شرطة قادمة تجاهنا، وقف عمرو وذهب للضابط عندما نزل من السيارة، وقال له "ها هو من صدم أخي وكان يريد الهروب، مقيَّد بداخل سيارتي"، حينئذ صُدمت صدمة عمري، ألقت الشرطة القبض عليّ وسط صيحات كثيرة مني، وجاءت سيارة إسعاف وأخذت جثة خالد، ذهبت إلى قسم الشرطة، وبدأ هذا الضابط السمين المدعو يوسف ناصف بتوجيه التهمة إليّ، وعندما كنت أرد عليه للدفاع عن نفسي لم أكن أسمع منه سوى السباب، بعدها أدخل الضابط عمرو وطلب منه أي يروي ما حدث، بدأ عمرو يقص له أحداث وهمية، وخلاصة هذه الأحداث أنه كان يسير هو وأخيه في

إحدى الطرق ومررت أنا بسيارتي متهوراً ودهست أخيه وكنت أريد الهروب، ولكنه منعني بطريقةٍ ما وقيدني داخل سيارتي، التي هي سيارته في الحقيقة، لم يفعل الضابط شيء آخر سوى أن أنهى القضية سريعاً بتقييدها ضدي، وأرسل المحضر للنيابة على صفيح ساخن، وبعدها حكمت المحكمة عليَ بالسجن عشرة أعوام، وهذا لأنني أمامهم قتلت صديقي العزيز كمجهول بغير عمد.

علامات تعجب باديه على وجه (عماد)، ساد الصمت للحظات حتى قال مستفهماً:

- وهل عرفت لمَ حدث كل هذا؟

ضحك (رشاد) بسخرية، ثم أجاب:

- أجل، أخبرت أحد أصدقائي في إحدى الزيارات أن يأتني بأخبار عن عمرو العادلي، ومن حسن الحظ أنه أتى أيضاً بأخبار عن الضابط يوسف.
- وما الذي قاله لك؟
- أخبرني أن بعد موت خالد ودخولي السجن بشهرين توفيَ والد عمرو وخالد الذي كان يعاني لسنوات من المرض، كان هذا الرجل هو أشهر تاجر مجوهرات في

القاهرة، ولأن عمرو لم يكن لديه أشقاء سوى خالد ورث متجر المجوهرات، فاستنتجت أنه فعل كل هذا حتى يموت أخيه ويرث هو وحده، واتهمني بالقتل لأنني الوحيد الذي رأيت ما حدث.

- وماذا عن الضابط يوسف؟
- كانت في هذه الفترة بدأت حركة الترقي للضباط، فأراد هذا الضابط اللعين أن يُتم جميع القضايا التي معه حتى يفوز بالترقية مبكراً، فما كان يفعل شيء سوى أن يتغاضى عن أي معلومات مجهولة تقابله، وينهي القضايا بشتى الطرق، ومن ضمنهم قضية مقتل خالد، التي سرعان ما قُيدت ضدي بعد سماع شهادة عمرو العادلي، ولم يتأكد منها.

قال (عماد) بأسف:

- إن هذا هو حالنا اليوم، حتى أنا لم أعد أستطيع ممارسة عملي بسلاسة بسبب ضباط الشرطة، عليهم اللعنة.

سأله (رشاد):

- وماذا تعمل؟

أجاب (عماد) ساخراً:

- تهريب وتوزيع ممنوعات كالحشيش والهروين والأدوية المخدرة، وأموال مزيَّفة أيضاً، أحصل عليها من أشخاص تعمل لدى أشخاصٌ أخرى كبيرة في المقام.

ضحك (رشاد)، وتفوَّه:

- لا تحزن.

فضحك (عماد) هو الآخر، نظر له (رشاد) بتمعُّن قليلاً ثم قال:

- ما المدة المتبقية لك هنا؟
- عام.
- جيد، أمعك ورقة؟

أجاب (عماد):

- بَفْرَه؟

نظر له (رشاد) باحتقار، وأجاب:

- أنا لا أكترث بمثل هذه القاذورات، أنا أتحدث عن ورقة لكي أكتب فيها.

هزَّ (عماد) رأسه نافياً:

- لا، لا أملك هذه الأشياء.

صمتا قليلاً، أخذ (رشاد) نفساً عميقاً ثم أذفره، وقال:

- إذاً، عليك أن تخزن هذه الكلمات في ذاكرتك.
- ماذا تريد؟

سأم (رشاد) من كثرة أسئلته، وقال:

- الصبر، سأقول لك عنوان منزلي، وأريدك أن تأتي لي بعدما تخرج من هنا.

عاد (عماد) يسأل:

- لماذا أيضاً؟

حرّك (رشاد) رأسه يميناً ويساراً، وقال بنفاذ صبر:

- لا فائدة.

ثم تابع:

- أريدك في عملٍ هام جداً، ولن تضايقك الشرطة هذه المرة.

* * *

(١٨)

بعد واقعة (عمرو العادلي) والرائد (يوسف) بعدة ساعات ..

وقت الفجر، هواءٌ صافٍ ونسمات برد منعشة، فكانت الغرفة ذي أجواءٌ طيبة، على الحائط علقت صورة مزركشة من الأطراف، ومن الداخل تحمل مشهد لقتل شخصين، إذا أمعنا النظر في الصورة فسنجد جثتيّ (عمرو) و(يوسف)، وهم بمنتصف دمائهم السائلة.

فُتح الباب، ودخل شخصٌ قَصَد الكرسي الموجود بمنتصف الغرفة، وجلس عليه، إذا نظرنا من خلفه للأمام بعد جلوسه سنرى الصورة المعلقة بمقابلة عينه، فكان ينظر لها بتمعُّن مصحوب بابتسامة خبيثة.

كان هذا الرجل هو (رشاد زهران)، وهذا هو منزله، وهذه هي حالته من شر وخبث بعد مقتل (عمرو) و(يوسف)، لحظات ثم نهض من على الكرسي، أحضر منضدة وبضع ورقات وقلم، وضعهم أمامه وجلس في مكانه مجدداً.

اعتدل (رشاد) في جلسته، وتهيَّئ للكتابة:

"رشاد زهران

رجل مدني، لي سابقه في السجن

كانت ظلم، وبسببها أصبح لي حق وكان يجب أن أنتقم له، لم يكن الانتقام من طباعي، ولكن عقد في السجن والخبرات تتراكم.

سُجنت بسبب غدر عمرو العادلي، وانعدام ضمير يوسف ناصف.

الآن انتقمت منهم وعن طريقهم، صبرت كثيراً وأحكمت غرائزي وأنا قريباً منهم، وهذا حتى تكتمل الخطة التي صممتها لكلاهما.

فكانت الخطة في البداية هي بعث رسائل بجملة تربطني بهم، فنتوحد لنجد حل للخطر الذي ظُن أنه وليد الرسائل، ثم تأتي رسائل أخرى تشكك الضابط بي أنا وعمرو، وبأفعاله المتوقعة تجاهنا نصبح ضده، فنكون حينها متوحدين أمام أنظار بعضنا، وعقولنا بها عداوة، ثم وبفضل الخوف الذي ستزرعه الأحداث فيهما، سيزداد الشك أكثر بينهم، فينتج عنه فكرة الانتقام، ويقتلان بعضهما، وأنا بدهائي كنت طيلة الوقت خارج حساباتهم.

إن نشوة الانتقام ألذ ما في الدنيا، سأوضح كل شيء..

بدأ مسار الخطة ببنائي لمستشفى، أحضرت جميع مالي وإرثي من أبي ووضعته في بنائها، وهذا حتى يكون في نظر عمرو ويوسف بعدها أنني تضررت كثيراً وفي خطر، فيصدقونني، وأيضاً لأظهر أمام الناس بأنني شخصٌ طيب، أنا طيب بالفعل، ولكن ما حدث ظلماً جعلني سيء أمام أنظار الجميع

* * *

مكتب (أحمد الصاوي)، رجل أعمال استثمر أمواله مؤخراً في بناء شركة للمقاولات، كان بانتظار (رشاد) لوجود موعد مسبق بينهم، دخل (رشاد) وتبادل معه التحية، ثم جلسا سوياً.

شرع (رشاد) في الحديث بجدية:

- كما أخبرتك سابقاً، أُريد الانتهاء من إنشاء المستشفى يكون في غضون عام أو أقل إن أمكن.

رد (أحمد) بابتسامة ودودة:

- سنبذل قصارى جهدنا.
- لقد تعاهدت مع أهل الحي أن أقوم ببناء مستشفى لعلاجهم بالمجان، وهم على انتظار، لا أريد خذلهم.

* * *

ثم بعد انتهاء بناء المستشفى أرسلت بعض الأشخاص ليحرقوها، ومن ثم يكتبون عليها جملة غريبة، لها أكثر من معنى، وهذا لكي تكون قضية شاغلة في قسم الشرطة، ويتولاها أحد أعدائي ليدخل في الدائرة التي حددتها للانتقام، وهو الرائد يوسف

* * *

ذهب (يوسف) ليرى ما هو الشيء المريب الذي يتحدث عنه العسكري، ثم تبعه (رشاد)، نظر الجميع إلى الحائط الخارجي للمبنى المحترق، بدت علامات الاستفهام في أعينهم بعد أن لاح لهم على الحائط جملة كُتبت بخطٍ عريض: (الثقة في العدو).

* * *

بعد ذلك أصبحت قضية كما أردت، ولكن أنا أنكرت جميع الأسئلة التي وُجهت لي من الرائد يوسف، وهذا حتى تذهب القضية للنيابة ويكون الأمر واقعي قليلاً.

ثم كانت الخطوة التالية هي ادخال عمرو العادلي معنا بنفس الدائرة، فأولاً أرسلت فتاة لتعمل معه، تدعى حبيبة، لأنني كنت أحتاج يد لي

بداخل هذا المتجر، وبعدها أرسلت له رسالة بها نفس الجملة التي كانت على المستشفى. فأخبرتني حبيبة أنه لم يكترث بها

* * *

قالتها (حبيبة) ثم غادرت مباشرةً، حينئذ فتح (عمرو) الرسالة، وبدأ يقرأ نَصها:

" أتظن أن هدوء الغابة يعني مقتل ملكها؟

الثقة في العدو "

تعجَّب (عمرو) مما قرأه، وتشتت تفكيره قليلاً، ضغط على زر بالمكتب يعطي إشارة إلى (حبيبة) لكي تأتي إليه، وجاءت بعد لحظات.

* * *

قالها (عمرو) وظل ينظر إلى الرسالة بتمعُّن، مر ما يقارب دقيقتين ثم ألقى الرسالة على المكتب، وعلل:

- من الممكن أن يكون رجلٌ تافه لم يجد ما يفعله فقرر مجاراتي، لن أبالي، ليست رسالة مثل هذه تدعني أنشغل للتفكير فيها.

- أجل، من الممكن هذا.

* * *

فقررت في اليوم التالي أن تفتح حبيبة المتجر لأحد مساعدينا حتى يكتب رسالة أخرى بالداخل، وفعلها، ثم حرق مدخل المتجر وهو يغادر حتى يقلق عمرو مما حدث.

وبتصرُّف حبيبة كما أخبرتها منعت الجميع من دخول المتجر، حتى يرى عمرو وحده الرسالة

* * *

سارت (حبيبة) وراء (عمرو)، وصلت إليه فوجدته كالِح، وساد الجوم وجهه، نظرت معه إلى الحائط أمامهما لكي ترى سبب عبوسه هذا، انتابتها الصدمة هي الأخرى، فقد بدا لهم على الحائط رسالة كُتبت بخطٍ واضح:

" إنها فقط البداية.

الثقة في العدو "

* * *

كان الطبيعي حينها أن يخاف عمرو، فحدَّث الشرطة، والمسؤول عن جميع القضايا والشكاوى في هذا الحيّ هو الرائد يوسف، فاجتمع به في مكتبه، بالطبع قصّ عمرو له ما حدث، ففعل يوسف ما يجب عليه فعله، وهو ما حدث معي، إرسال القضية للنيابة.

حدَثني يوسف بعدها وأخبرني ما جرى، تحدثت معه طبيعي وكأنني لا أعلم شيء، كانت هذا المكالمة هامة في هذه الخطة.

حينئذ كان يجب أن يدخل يوسف اللعبة بشكل صريح، فأرسلت له رسالة بعد مكالمته لي بقليل

* * *

بعد مرور أقل من ساعة

وصل (يوسف) إلى العقار الذي يمكث فيه، صعد السلم وتجاوز طابق والثاني، ثم وصل إلى باب منزله، وهو يُخرج المفتاح لكي يضعه في الباب ويفتحه، أوقفه شيءٍ ما، أوقفه جملة صغيرة نُحتت بدقة أسفل مكان فتح الباب، بُهت منها، واتسعت حدقتا عينه بشدة، وظلا ينظرا مدهوشان بتمعُّن إلى الجملة التي تنص بـ: (لقد بدأت اللعبة).

حين قراءة (يوسف) لهذه الجملة دار في رأسه عدة احتمالات، وبدأ يستوعب كل ما يحدث، وضع يده على رأسه ثم استطرد:

- أيعقل؟ لقد أصبحت جزءاً من اللعبة التي وُضع فيها رشاد وعمرو.

صمت قليلاً ثم أكمل:

- نفس طريقة بعث الرسائل، هذا أمرٌ مثير.

* * *

حينذاك فعل يوسف ما كان لأي شخص فعله، وهو محادثتنا لكي يجتمع بنا، وحينها كانت نقطة فاصلة وهامة، فقد صرنا جميعاً في مواجهة الحدث، وصرنا سوياً

* * *

أجاب (يوسف) بهدوء، بعد أن جلس (عمرو):

- ما مر لم يعُد له فائدة الآن، القادم أخطر، أنا أخبرت رشاد كل شيء، وأقنعته أن يهدأ حين وجودك، فلتساعدنا أيضاً أنت الآخر.
- ما الذي حدث؟

فضَّل (رشاد) أن يصمت حين حديث (يوسف) مع (عمرو)، وأكمل الاستماع لإجابة (يوسف):

- أنتما الاثنان في نفس الدائرة، يحيطكما نفس الخطر، أهو بسبب ما حدث قديماً؟ فلا أعتقد هذا، أنتما الاثنان تضررتما، فلا يمكن أن يفكر أحد أنَّ أحدكما من فعل هذا بالآخر، ورشاد أكَّد لي أنه لم تربطه علاقة بك منذ سنوات كثيرة.
- حسناً، وما الذي أوضح لك كل هذا؟

اعتدل (يوسف) في مكانه، وأجاب:

- ما حدث لك، حدث مثله لرشاد، ولكن بطريقة أبشع منه.

* * *

حينها كان يجب عليّ إخبارهم شيئاً هاماً، وهو أن نتنازل عن قضايانا، وهذا ليس كما عللت لهم، بل كان هذا حتى إذا أخفقت في تفصيله في هذه الخطة فلا تكشفني النيابة

* * *

تدخَّل (رشاد) في الحديث قائلاً بجدية، بعد صمتٍ دام طويلاً:

- لا أريد أن أضيع أعوام أخرى من عمري، فأنا موافق على ما طرحه الرائد يوسف، ووجدت أيضاً بداية الحل.

قال (يوسف):

- أخبرنا إيَّاه.

أكمل (رشاد) حديثه:

- يجب علينا أن نسحب قضايانا من النيابة، ونتنازل عنها.

* * *

أقنعتهم برأيي، ففعلها عمرو، وساعدني حينها كثيراً.

ثم كانت الخطوة التالية هامة جداً، وهي ذهابي لعمرو، وكانت صعبة عليّ كثيراً، لأنني حينها أخبرته أنني سامحته وأريد أن نكون يداً واحدة لمواجهة خطر هذه الرسائل، وكان الغرض منها ليس كذلك، بل هو اطمئنان هذا النذل لي، وهذا ما حدث بعدها

* * *

- عمرو، دعنا من كل هذا، لقد نسيت ما حدث قديماً، مرغماً ليس أكثر، نسيته وأنا في السجن، وما يجب علينا الآن هو أن نُفرغ الأماكن التي تحمل الأحداث التي تربطنا ببعض بعقولنا، ونضع تركيزنا فيما هو قادم، فيما وُضعنا فيه بغير عَمَد، نحن الآن في مأزق، مأزق لن يتحمَّل أي خلافات بيننا، أعلم أن من المفرض أن من يقول هذا الحديث هو أنت، ولكن أنا من قلته حتى تستطيع تصديقي، وأعلم أنه يصعب أن يَخرُج مني لثقل ما حدث.

ظل (عمرو) يفكر، مر وقتٌ كثير حتى أردف بإيمائه:

- حسناً.

* * *

وبعد عدة احتمالات فرضها (عمرو)، قال:

- هذا الضابط النذل يشككني في رشاد زهران، الذي تنازل عن عشرة أعوام كره لي من عمره لإنهاء هذا الأمر، رشاد الذي لم أجد منه شيء نقيض لأفعالي أنا ويوسف.

فأعتقد الآن أن اللعبة باتت داخلنا وليست علينا.

* * *

مرت أياماً كثيرة ولم أفعل شيء، فقرر يوسف أن يجتمع بنا، وحينها أعاد حديثه في أول اجتماع ولم نستفيد، فقررت بعدها أن أرسل إلى يوسف الرسالة التي تشككه فينا قليلاً، ونكمل المسار

* * *

حمل (يوسف) الورقة وفتحها، وكان يُمني النفس أن تكون رسالة تابعة للعبة التي تداهمهم، وبالفعل كانت، لم يخطئ ظنه.

فقرأ بصوتٍ مسموع:

(أعدائك هم حلفائك ... فثق به).

قالها (يوسف) بصوتٍ محاط بالدهشة، ثم أطبق الورقة.

* * *

تصرَّف يوسف كما توقعت، فقد قرر أن يسير مع كلٍ منا بدون علم الآخر حتى يستطيع فهم أخر رسالة، فحدث ما لم يكن يتوقعه، فلقد أخبرت عمرو على مقابلته لي، فقال إنه فعل معه هكذا أيضاً، فبدأت تتكون عداوتنا له، ولم نقرر إخباره

ضمَّ (رشاد) إبهام يده اليمنى بصباعيه الاثنين المقابلين له وحركهم إشارةً منه إلى (عمرو) بأن يتحلى بالصبر. ثم بعدها أردف:

- اجتمع يوسف بي عصر أمس، وأخبرني أن حل هذه المعضلة عندي وسنصل إليه بمساعدته، وأضح لي أسباب حديثه هذا.

اتسعت حدقتا عين (عمرو) ذهولاً، وأكمل استماعه لقول (رشاد):

- وأخبرني أيضاً أن أبتعد عنك، وأنك لست ذو فائدة، وأن أحذر منك، ولكن لم يقُل لي سبب هذا الحذر.

دهشة واضحة على (عمرو) الذي تمتم:

- وأنا أيضاً، لقد قال لي هذا الحديث ولكن بصيغة موازية له، وأوضح لي سبب الحذر منك، وهو أنك رد سجون.

تعجَّب (رشاد)، وقال:

- هذا يعني أن يوسف يلعب بنا؟
- أجل، هذا هو التفسير الوحيد.

* * *

أكمل (عمرو) الحديث بعد تفكيراً دقيقاً:

- أنا أعتقد شيئاً الآن، يبدو أن يوسف هو المتسبب في كل هذا، هو من حرق، هو من اقتحم، هو من يرسل الرسائل، أي أن اللعبة داخلنا.
- ماذا تعني؟
- إنه الوحيد في هذه اللعبة الذي لم يتضرر بأي شيء، ألم تلفت نظرك هذه النقطة؟

* * *

سار كل شيء على ما يرام، كما أردت، فقررت حينئذ أن أرسل ليوسف رسالة تجعله يشك في أحدنا فقط، لأختصر الطريق أكثر

* * *

و(يوسف) يواصل عمله في تركيز دقيق، وأجواءٍ متهيئة لذلك، جاءته رسالة نصية على هاتفه، حمل الهاتف ثم بدأ يقرأ بتمعُّن:

(ستنتهي اللعبة مع أحدهم، انظر للآخر).

تغيَّرت طريقة بعث الرسائل، ولم يتغير محتواها وعمق مدلولها، كان هذا هو أول ما انتبه إليه (يوسف) لأنه متوقع ما سيحدث.

* * *

كان الطبيعي حينها أن يرسل يوسف أحد ليُحضر له عنا معلومات، ولأن سيرتي أصبحت جيدة بين الناس لم يجد عني شيئاً سيئاً، وعمرو أيضاً سيرته كانت جيدة، ولكنني فعلت شيئاً بشعاً، فلقد أرسلت أشخاصاً كثيرة لتسير في هذا الفترة أمام المتجر، وكانوا يدخلون ويخرجون منه كثيراً، وكان الغرض من هذا هو إن سألهم أحد عن عمرو، يقولون إنه يتاجر في الممنوعات ويذكرونها أيضاً

* * *

انتبه (يوسف) للحديث أكثر، واستمع لقول النقيب (محمود):

- عمرو العادلي تاجر المجوهرات الكبير، سيرته معروفة، خليفة أبيه في الاسم والشهرة، ولكن نقيض له في الأخلاق.
- كيف؟
- حديثٌ آتٍ من عاملين معه بالمتجر وروّاد له، إنه يتاجر في الممنوعات أيضاً، وبالأخص.. الحشيش والهروين والأدوية المخدرة.

* * *

لم أعلم حينها كيف تصرَّف يوسف تجاه هذا الحدث، ولكن الأمر البديهي هو أنه سيقرر القبض على عمرو، وهذا ما علمته من مكالمته لي بعدها، وهكذا انتهى مسار يوسف الذي حددته له، وتم بأكمل وجه.

تبقى عمرو، قررت أن أحادثه وأخبره ما ينوي يوسف فعله به، ولأننا كنا ضده اشتعل عمرو أكثر، وقرر القضاء على يوسف قبل أن يقضي هو عليه، وهذا ما كنت أريده

* * *

قال (عمرو)، بعدما ازداد حنقاً:

- حسناً، أريده أن يأتي ويُثبت عليّ شيء، وحينما يُخفق أنا من سيقضي على هذا الحقير.
- كيف ستقضي عليه؟
- سأقطع الخيط الذي يصلنا به، وبالدنيا.

***

ثم جاءت الخطوة الأخيرة، وهي أن يُحضر لي عماد بعض من الممنوعات التي أخبرني عليها، فأعطيها إلى حبيبة لكي تضعهم في خزانة عمرو. وكانت هذه الخطوة هي نهاية هذا المسار الشيّق

نهض (عمرو) من مكانه وقَصَد خزانته الخاصة بالمكتب، همَّ في فتحها، وفعل، فكانت حينذاك الصدمة الأكبر في حياته، وجد ما لا يخطر على بال أحد أنه موجود في هذه الخزانة.

كيف؟ ولمَ؟ ومتى؟ كانوا أول الأسئلة المنطوقة بنبرة دهشة بعد رؤية (عمرو) لبعض الممنوعات تملأ خزانته، وبالتحديد رأى حشيش وهروين وبعضٍ من الأدوية المخدرة.

* * *

ذهب يوسف إلى عمرو، وباتت نواياهم مكشوفه أمام كلٍ منهما

* * *

ازدادت صدمة (عمرو) أكثر، وتابعها ازدياد ضربات قلبه خوفاً، وهذا بعد رؤيته للرائد (يوسف) يدخل عليه المكتب بأعصابٍ باردة وهدوء يصل حد الموت، وعلى وجهه ابتسامة خبيثة ومستفزة، فلقد رأى هذه المنوعات أمامه.

- اختصرت عليّ الكثير من الوقت.

رد عليه (عمرو) متلعثماً:

- نفَّذت لعبتك حتى الآن كما تريد، ولكن لن أسمح لك بإكمالها.

* * *

- كف عن هذه الثرثرة الفاشلة. أتعلم ما هي عقوبة الشخص الذي يُمسك وبحوزته ممنوعات أياً كانت هي؟

نظر له (عمرو) بسخط ولم يُجبه، فأكمل (يوسف):

- سأجيب أنا، يُنَص في المادة ٣٤ على أن يعاقب بالإعدام، أو الأشغال الشاقة المؤبدة، كل من حاز أو أحرز أو اشترى أو باع أو سلم أو نقل أو قدم للتعاطي جوهراً مخدراً وكان ذلك بقصد الإتجار، أو أتجر فيها بأية صورة. وأنت الآن بحوزتك خيرٌ كثيرٌ، بالتأكيد تاجرت فيه، والآن أُمسكت وهم بحوزتك.

قالها (يوسف) ثم أخرج مسدسه وأشهره في وجه (عمرو)، وتابع:

- لا مفر يا ابن العادلي، هيا معي بدون جدال.

* * *

صنع (عمرو) ابتسامة خبيثة ورسمها على وجهه، ليوضح للرائد (يوسف) أنه ليس خائفاً، وقال له بعد أن حمل مسدسه ورفعه بمقابلة المسدس الآخر:

- كلا، أنا لن أخرج من هنا إلا وأنا محمولاً على الظهر.
- ما الذي بوسعك فعله الآن؟ قتلي مثلاً!

أومأ (عمرو) برأسه، ثم أردف مغتاظاً:

- أجل، فأنت مخادع.

* * *

وهذه اللحظة هي ما كنت أفعل كل هذا لأجلها.

فلقد نشب بينهم جدال مثير، وعراك مريح لي، ونهايته أمامكم الآن، في هذه الصورة المعلقة على هذا الحائط."

* * *

تنهَّد (رشاد) ثم نهض من جلسته، ترك الورق الذي كان يكتب فيه واتجه إلى حبل ملفوف ومعلَّق في سقف الغرفة، بجانبه بقليل تظهر صورة جثتيّ (عمرو) و(يوسف)، وضع (رشاد) كرسي صغير أسفل

الحبل ووقف عليه، وضع عروة الحبل في عنقه، ثم لحظات وحرّك الكرسي وأوقعه، فهبط جسده وخنقه الحبل، وخرجت روحه ومات.

كان قد دوَّن (رشاد) في نهاية أخر ورقة كتب فيها:

"لقد أخطئوا وعاقبتهم، وأنا أيضاً بتصرُّفي هذا معهم أخطئت، وكان يجب أن أعاقب نفسي.

بدأت بقتل، مروراً بدم، وأنهيتها بدم.

وهذا هو الثأر للحق، ومنه."